



يا باغي الخير أقبل

الشيخ/ندا أبو أحمد



يا باغي الخير أقبل

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

يا باغي الخير أقبل

- ١- يا باغي الخير: عليك أن تكثر من الشكر لله تعالى أن مَنْ عليك بنعمة الحياة حتى أدركت شهر رمضان، شهر المغفرة والرضوان.
- ٢- يا باغي الخير: عليك بالمسارعة إلى التوبة والأوبة والرجوع إلى الله تعالى.
- ٣- يا باغي الخير: اجتهد في رمضان بقدر ما تستطيع.
- ٤- يا باغي الخير: إن تعثرت في رمضان فلا تتوقف.
- ٥- يا باغي الخير: احرص على أسباب المغفرة في رمضان.
- ٦- يا باغي الخير: إذا صمت فلتصم جوارحك.
- ٧- يا باغي الخير: اهتم بقلبك أكثر من اهتمامك بجسدك.
- ٨- يا باغي الخير: اقتحم العقبات بقوة.
- ٩- يا باغي الخير: عليك بالإنفاق وكثرة الجود في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان.
- ١٠- يا باغي الخير: عليك بإطعام الطعام في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان.
- ١١- يا باغي الخير: عليك بكثرة الدعاء في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان.
- ١٢- يا باغي الخير: عليك بكثرة الذكر والاستغفار في سائر الأيام وخصوصًا في شهر رمضان.
- ١٣- يا باغي الخير: لا تترك قيام الليل بعد رمضان.
- ١٤- يا باغي الخير: لا تترك صلاة التراويح في أول ليلة من ليالي رمضان.
- ١٥- يا باغي الخير: لا تترك صلاة التراويح بالكليّة.
- ١٦- يا باغي الخير: لا تترك صلاة التراويح في جماعة في المسجد.
- ١٧- يا باغي الخير: إذا قمت إلى الصلاة في الليل فأطل القيام.
- ١٨- يا باغي الخير: لا تفرط في قيام الليل والتراويح، وتنام عن صلاة الفجر.
- ١٩- يا باغي الخير: احرص على كثرة قراءة القرآن وخصوصًا في رمضان.
- ٢٠- يا باغي الخير: إذا قرأت القرآن فاقراه بتدبير.
- ٢١- يا باغي الخير: إذا قرأت القرآن فاعمل بما جاء فيه.

- ٢٢- يا باغي الخير: عليك بالدعاء عند ختم القرآن الكريم.
- ٢٣- يا باغي الخير: احرص على عمرة في رمضان.
- ٢٤- يا باغي الخير: احرص على الإخلاص في الصيام وفي غيره من الأعمال.
- ٢٥- يا باغي الخير: لا تنس تبئيت النية من الليل في صيام الفرض.
- ٢٦- يا باغي الخير: لا تترك الدعاء في وقت السحر.
- ٢٧- يا باغي الخير: لا تهمل أهل بيتك.
- ٢٨- يا باغي الخير: عليك بتشجيع الأولاد الصغار على الصيام.
- ٢٩- يا باغي الخير: لا يفوتك ثلاثون حجة وعمرة في رمضان.
- ٣٠- يا باغي الخير: استعن بالله تعالى واحرص على ما ينفعك.
- ٣١- يا باغي الخير: بع نفسك لله تعالى تريح الجنة.
- ٣٢- يا باغي الخير: لا تعتمد في جلب المشقة على نفسك.
- ٣٣- يا باغي الخير: عليك بملازمة الصبر عموماً؛ وفي رمضان خصوصاً.
- ٣٤- يا باغي الخير: بادر بالأعمال الصالحة قبل أن يأتيك الأجل.
- ٣٥- يا باغي الخير: عليك أن تجتهد في ليالي العشر الأواخر من رمضان.
- ٣٦- يا باغي الخير: احرص على أن تعتكف العشر الأواخر من رمضان.
- ٣٧- يا باغي الخير: احرص على اغتنام ليلة القدر، فهي ليلة خير من ألف شهر.
- ٣٨- يا باغي الخير: عليك أن تكثر من سؤال الله أن يعفو عنك في ليلة العفو (ليلة القدر).
- ٣٩- يا باغي الخير: اجتهد في رمضان بقدر ما تستطيع؛ حتى تحقق مقصود الصيام.
- ٤٠- يا باغي الخير: لا تنس إخراج زكاة الفطر.
- ٤١- يا باغي الخير: لا تترك الصيام بعد رمضان.
- ٤٢- يا باغي الخير: أكثر من الاستغفار في رمضان بعد فعل الطاعات: من صيام، وقيام، وقراءة القرآن...
- ٤٣- يا باغي الخير: استقم على طاعة الله ولا تنقطع عن العبادة بعد رمضان.

1- يا باغي الخير: عليك أن تكثر من الشكر لله تعالى أن من عليك بنعمة الحياة حتى أدركت شهر رمضان، شهر المغفرة والرضوان:

أنعم الله تعالى على عباده بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، فقال تعالى: ﴿وَأَنكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)

ومن نعم الله علينا أن جعل لنا مواسم للطاعات تنتزل فيها الرحمات، وترفع فيها الدرجات، وتتضاعف فيها الحسنات، ويغفر فيها كثير من الذنوب والمعاصي والزلات، والسعيد من يغتنم هذه الأوقات، ويتعرض لهذه النفحات، وهذا ما حثنا عليه النبي ﷺ فقال: "افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِّن رَّحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتَرَّ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ". (أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث أنس ﷺ) (ضعف هذا الحديث أهل العلم وحسنه الألباني في الصحيحة: ١٨٩٠)

وعند الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة أن النبي ﷺ قال: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً". (الصحيحة: ١٨٩٠)

ولقد بين النبي ﷺ في هذه الأحاديث أنه ينبغي على الإنسان منا أن يتعرض لهذه النفحات الربانية، والمنح الإلهية، وشهر رمضان من النفحات الربانية، والمنح الإلهية على الأمة المحمدية. ففي رمضان منح الرحمن، ونسائم القرآن، وروائح الجنان، فيه تطيب الأفواه، وتطهر الألسنة، وتُصان الفروج، وتمنع الآثام، فهو جنة من الزلل، ووقاية من المعاصي، وحصن من السيئات، لا يخيب فيه سائل، أو يُطرد عنه محروم، عطاؤه كثير، وفيضه عميم، توج بليلة القدر، وتشرف بنزول القرآن، وبورك بنزول الملائكة، ورُفعت فيه راية الموحدين، فقد تم فيه نصر بدر، وفيه تم فتح مكة، فكان هو الفوز في البدء والختام والفرح بالسيادة والإيمان.

فالحمد لله لما أولانا فيه من النعيم، وحبانا فيه من الرحمات والطيبات.

فهو شهرٌ.... تتهمر فيه الرحمات من رب البريات.

شهرٌ.... مبارك كريم وموسم رابح عظيم وشهر تتضاعف فيه الحسنات.

شهرٌ.... أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

شهرٌ.... من صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... من قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... فيه ليلة خير من ألف شهر من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... تفتح فيه أبواب الجنان فلا يغلق منها باب.

شهرٌ.... تعلق فيه أبواب النيران فلا يفتح منها باب.

شهرٌ.... تصفد فيه الشياطين ومردة الجان.

شهرٌ.... من أتى فيه بعمره كان كمن حج مع النبي ﷺ.

شهرٌ.... من فطر فيه صائماً كان له مثل أجره.

شهرٌ.... لله فيه عتقاء من النار وذلك في كل ليلة.

وغير ذلك من الجوائز والمنح الربانية، والتي وهبها رب البرية للأمة المحمدية.

فالحمد لله أن منّ علينا بنعمة الحياة وأطال في الأعمار حتى أدركنا هذه الأوقات المباركات؛ لنتزود فيها الأعمال الصالحات، ليوم لا تنفع فيه الحسرات، فبلوغ رمضان نعمة عظيمة، ومنحة جلييلة، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب.

فكل من منّ الله عليه بنعمة الحياة حتى أدرك رمضان فليسجد لله شكراً، وليحمده على هذه النعمة فهي نعمة لا يعرف قدرها إلا من وقف على هذا الحديث:

حديث أخرجه ابن ماجه بسند صحيح من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ: " أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتَشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتَشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: " مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ! " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتَشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: " وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟ " - وفي رواية للإمام أحمد والبيهقي: " أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رُكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رُكْعَةً لَصَلَاةِ السَّنَةِ "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " . (السلسلة الصحيحة: ٢٥٩١)

الله أكبر... لو ظل الإنسان منا ساجداً لله تعالى إلى أن يلقاه لم يوفَّ شكر هذه النعمة، فلنحمد الله جميعاً على أن منّ علينا بنعمة الحياة حتى أدركنا رمضان، وزيد لنا عددً من الركعات كتبت في السجلات، وفي ميزان الحسنات.

٢- يا باغي الخير: عليك بالمسارعة إلى التوبة والأوبة والرجوع إلى الله تعالى^(١):

نحن بشر، ولا يسلم إنسان منا من الوقوع في خطأ، أو زلل، أو معصية، كما أخبر بهذا النبي ﷺ.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

" **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** ". (صحيح الجامع: ٤٥١٥)

ففي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: " **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ** "، أي: كل إنسان على وجه الأرض يُذنبُ ويكثرُ

من الخطأ، فقوله: **خَطَّاءٌ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ**، فلا عِصْمَةَ لِأَحَدٍ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ؛ ولذلك كان على الإنسان إذا وَقَعَ في

خَطِّاً أو مَعْصِيَةً أَنْ يُبَادِرَ بِالْعَوْدَةِ وَالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لأنه لا يخفى على عاقل أن الذنوب

والمعاصي شؤم على الأفراد والمجتمعات، فهي تُهلك الحرث والنسل، وتنزِع البركة، وتمنع الرزق، وما حل

بالأمم السابقة من هلاك وعذاب، إلا بسبب الذنوب وغلبة الأهواء، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا**

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦)

فكم أهلكت المعاصي من أمة، وكم دمرت من مجتمعات، وكم شردت من أفراد، قال تعالى: ﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِن**

قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الأنبياء: ١١)

يقول مجاهد -رحمه الله-: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول هذا

بشؤم معصية بني آدم."

وثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي ؓ أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه

بجَنَازَةٍ، فَقَالَ: **مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ**. قالوا: يا رسول الله! ما **المُسْتَرِيحُ** والمُسْتَرَاخُ منه؟ قال: **العَبْدُ**

الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ

وَالدَّوَابُّ ".

فالنبي ﷺ بين في هذا الحديث أن العبد الفاجر - وهو العاصي أو الكافر - فيَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ،

وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ؛ بِالْخَلَّاصِ مِنْ فُجُورِهِ وَشُرُورِهِ وَأَذَاهُ، وَهِيَ أفعالٌ تَضُرُّ بِالْعِبَادِ، وَتَكُونُ سَبَبًا لِلْهَلَاكِ، فَيَمْنَعُ

اللهُ الخَيْرَ والمَطْرَ، فَيَهْلِكُ جَمِيعُهُمْ بِمَا فِيهِمُ الشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ.

وليس من شرور ولا بلاء إلا وسببه الذنوب والمعاصي، وما ظهرت المعاصي في ديار إلا أقحطتها، ولا

تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، وبالمعاصي يهون العبد على ربه فنُزِعَ مهابته

من قلوب خلقه، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ** ﴾ (الحج: ١٨)

١- هناك رسالة للمؤلف عن التوبة وهي ضمن سلسلة الكتاب الجامع للفضائل، فارجع إليها فضلاً لا أمراً.

والذنب بعد الذنب يقطع طرق الطاعة، ويصد عن سبيل الخيرات، وسبب للفقر، وتحول العافية واستجلاب سخط الله. وبالمعاصي تزول النعم وتحل النقم، ويسببها تتوالى المحن وتتداعى الفتن. ومن فضل الله علينا أن جعل بمنه وكرمه باب التوبة مفتوحاً لعباده، مهما عظمت سيئاتهم، وكبرت خطيئاتهم، وارتكبوا العظائم والقواصم من الفواحش والمآثم.

ومن رحمة الله بنا وفضله علينا؛ أن جعل لنا مواسم للطاعات؛ تجاب فيها الدعوات، وترفع فيها الدرجات، وتتضاعف فيها الحسنات، وتقال فيها العثرات، ويغفر فيها كثير من الذنوب والمعاصي والسيئات، والسعيد الذي يغتنم هذه الأوقات ويتعرض لهذه النفحات.

وقد مر بنا قول الحبيب النبي ﷺ: " اَفْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُّوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَّ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ "

(رواه الطبراني من حديث أبي هريرة ؓ) (ضعف هذا الحديث أهل العلم وحسنه الألباني في الصحيحة: ١٨٩٠)

ومن هذه النفحات الربانية على الأمة المحمدية: شهر رمضان المبارك، فهو شهر الخيرات؛ تكثر فيه النفحات، وتتنزل في الرحمات من رب البريات، ويتوب الله فيه على من تاب.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: " إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ (١) الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَعَلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يَفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ (٢) فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عِتْقَاءٌ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ " (صحيح الجامع: ٧٥٩)

فها هي التوبة في رمضان معروضة، ومواسم الطاعات مشهورة، فلئن أتعبتك المعاصي، وأثقلتك الذنوب، فاعلم أن لك رباً يريد منك أن تتوب: **﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾** (النساء: ٢٧)

فرمضان فرصة كبيرة ومنة عظيمة لنصطلح مع الله عز وجل حتى يرضى عنا ويدخلنا جنته.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة: ٢٢١)

فإلى الذين ذلّت أقدامهم وسقطوا في ذل المعصية وظلوا فيها زمناً طويلاً، ها هو موسم الطاعات وسوق الخيرات قد جاء بما فيه من المنح المباركات، فاغتنمه لتضاعف لك فيه الحسنات، ويمحى عنك فيه السيئات، وترفع لك فيه الدرجات، ها هو شهر الصيام أقبل فلا تستح أن ترفع يديك إلى مولاك طالباً العفو والغفران والعنتق من النيران، وأن يدخلك الجنان.

١- صفت: بضم أوله وتشديد الفاء أي شُدَّتْ وأوثقت بالأغلال، والأصفاة هي القيود، قال تعالى (مَقْرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ) أي مشدودين بعضهم ببعض في القيود والأغلال (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٥٣/٣)

٢- وفي لفظ للبخاري " وفتحت أبواب السماء"، وعند مسلم بلفظ " وفتحت أبواب الرحمة".

واعلم أيها المذنب... أن هذه الأمة لكرامتها على الله جعل توبتها الندم والإقلاع، فهي أسرع قبولاً وأسهل تناولاً. **فقد جاء في تفسير ابن المنذر: أن الصحابة-رضوان الله عليهم- كانوا مجتمعين عند ابن مسعود** فتذكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، فقال عبد الله بن مسعود **ﷺ**: كان الرجل من بني إسرائيل إذا ما أذنب ذنباً كتب ذنبه على باب داره، وكتب معه كفارة ذلك الذنب، ليغفر ذلك الذنب. أما أنتم فجعل الله مغفرة ذنوبكم قولاً تقولونه بألسنتكم. ثم تلا قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ تَغْفِيرٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** (آل عمران: ١٣٥، ١٣٦)

فقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "والله ما أحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلْدُ فِيهِ مَهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠)**

ونزل: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (الزمر: ٥٣)

فقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: "فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء كفرحه بهذه الآية".

وصدق ربنا حيث قال: **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠)**

ومن رحمته بنا أنه يبسط يده بالليل والنهار للمذنبين، وبابه دائماً لا يغلق، ورحمته واسعة فيا له من إله رحيم، ورب كريم عظيم.

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "قال إبليس: أي رب! لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله تعالى: لا أزال أغفر لهم ما استغفروني".

• فما أوسع حلم الله على عباده، وما أعظم فضله وامتنانه، فلنتوجه إلى الله تعالى ونتوب إليه، فهو غافر الذنب وقابل التوب. وهو القائل سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: ٨٢)
وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٤)
فالذنوب مهما عظمت فعفو الله أعظم، ومن ظنَّ أن ذنبًا لا يتسع لعفو الله فقد ظن بربه ظن السوء.

وقد قال تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة".

(أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ) (صحيح الجامع: ٤٣٣٨)

فهيا أخي الحبيب بادر بالتوبة؛ فالفرصة متاحة، ووسائل الهدى متوفرة، وأعوان الخير كثر، وأبواب السماء مفتوحة، فهيا تب إلى الله وارجع إليه قبل أن يأتيك الموت ويغلق دونك باب التوبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٧، ١٨)

قال **طلق بن حبيب-رحمه الله-**: "أن حقوق الله تعالى أعظم من أن تقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تُحصى، ولكن أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين".

فاحمد الله أخي الحبيب على أن مد في عمرك لتدرك هذا الشهر العظيم المبارك، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب.

وقد بكى أحد الصالحين عند موته، فسئل عن هذا فقال: "إنما أبكي عندما يصوم الصائمون ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم.

ودخل إبراهيم بن أدهم على بعض إخوانه يومًا وهو في سياق الموت، فجعل هذا الرجل يتنفس ويتأسف، فقال له إبراهيم بن أدهم: على ماذا تتنفس وتتأسف؟ فقال: "ما تأسفي على البقاء في الدنيا، ولكن تأسفي على ليلة نمتها، وعلى يوم أفطرتة، وعلى ساعة غفلت فيها عن ذكر الله.

فكم من أناس كانوا يتمنون إدراك رمضان فلم يدركوه، ومن الله عليك بنعمة الحياة حتى أدركت هذا الزمان المبارك. فجدَّ في التوبة وسارع إليها كما أمرك الله.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢١)

فهيا نستجيب لنداء رب العالمين... حيث قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم: ٨)

قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب -رضي الله عنهما-: "التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود إليه، كما لا يعود اللبن إلى الضرع".

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: "التوبة النصوح: أن يكون العبد نادماً على ما مضى، مجمعاً على ألا يعود فيه". (انظر مدارج السالكين لابن القيم)

وقال ابن القيم -رحمه الله- كما في "مدارج السالكين: ١/٣١٦": "والتوبة النصوح تتضمن ثلاثة أشياء: استغراق جميع الذنوب، وإجماع الندم والصدق، وتخليصها من الشوائب والعلل، وهي أكمل ما يكون من التوبة".

فأول الطريق أن يرى الإنسان عظيم جرمه، وفداحة ذنبه وخطئه، فهذا يجعله يسارع إلى الخلاص والأوبة، ويبادر إلى التوبة. وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذَبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ.

(أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ)

وهنا أتوجه للذين لا يعرفون شرف هذا الزمان، وبيارزون الله بالعصيان في شهر رمضان، أقول لهم: أنتم على خطر عظيم، إن لم تتوبوا وتعودوا إلى رب العالمين، ويدل على هذا:

ما أخرجه والطبراني عن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال: أن النبي ﷺ قال: "أتاني جبريل فقال: يا مُحَمَّد! من أدركَ أحدَ والديهِ فماتَ فدخلَ النَّارَ فأبعدهَ اللهُ، قُل: آمين، فقلتُ: "آمين"، قال: يا مُحَمَّد، مَنْ أدركَ شهرَ رمضانَ فماتَ فلم يُغْفَرْ لَهُ فأدخلَ النَّارَ فأبعدهَ اللهُ، قُل: آمين، فقلتُ: "آمين"، قال: ومن ذُكِرَتْ عندهُ فلم يُصَلِّ عَلَيْكَ فماتَ فدخلَ النَّارَ فأبعدهَ اللهُ، قُل: آمين، فقلتُ: "آمين".

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "رَغِمَ أَنْفُ (١) رَجُلٍ ذُكِرَتْ عندهُ فلم يصلِّ عليَّ، ورَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، ورَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عندهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فلم يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ". (صحيح الترمذي: ٣٥٤٥) (صحيح الجامع: ٣٥١٠)

قل لي بالله عليك؛ كيف سيكون حال هذا الرجل الذي دعا عليه سيد الملائكة، وأمنَّ عليه سيد البشر؟ فمن حُرِّمَ المغفرة في شهر الغفران والعنق من النيران فهو المحروم، فليذرف على ما فرط دموع الأسي، وهيهات أن تُجدي الحسرة أو ينفع البكاء، بعد فوات الفرصة، وانقضاء المدة، وانتهاء السباق.

"فيا من ذنوبه كثيرة لا تعد، ووجه صحيفته بمخالفته قد أسود، كم يدعوك مولاك إلى الوصال وتأبى إلا الصد، أمّا الموت فقد سعى نحوك وجدّ، عزم أن يلحقك بالأب والجد، فاحذر الموت أن يأتي على المعاصي، فإنه إذا أتى أبي الرّد". (التبصرة لابن الجوزي: ٢/٢٦٦)

١- رَغِمَ أَنْفٌ: أي: لصِقَ أَنْفُهُ بِالرَّغَامِ، وهو الرُّرَابُ المِخْتَلِطُ بِالرَّمْلِ، والمرادُ به: الدُّنْ وَالخَزْيُ، وكرَّرَها ثلاثاً؛ زيادةً في التَّنْفِيرِ والرَّجْرِ عَنَّا يُذَكِّرُ بَعْدَهُ.

فيا أيها العصاة... بادروا بالتوبة من الآن، واجعلوا من شهر رمضان نقطة تحول من الشرك إلى التوحيد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن العقوق إلى البر، ومن القطيعة إلى الصلة، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن البدعة إلى السنة، ومن الكذب إلى الصدق، ومن مساوئ الأخلاق إلى مكارم الاخلاق، ومن أكل الحرام إلى أكل الحلال، ومن الفرقة إلى الاعتصام، ومن التهاجر إلى البدء بالسلام، ومن مجالس الغيبة والبهتان إلى مجالس العلم والقرآن.

وأنت يا أختاه فري إلى الله من التبرج والسفور إلى الحشمة والوقار، حتى لا تكونين من أهل النار، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا "**

فيا أخي الحبيب... إن فاتك موسم الغفران والعنق من النيران فلا تيأس من رحمة الله، وجدد التوبة والأوبة، فالفرصة مازالت أمامك، طالما فيك نفس يتردد، وقلب يدق، وعرق ينبض.

فهيا أخي الكريم... ما عليك إلا أن ترفع يدك إلى السماء في ذل وخشوع وتقول: يا رب هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيّد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، أدعوك دعاء الخائف الضرير سؤال من خضعت لك رقبتة، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلل لك قلبه، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، أسألك بعزك وذلي، إلا غفرت لي ورحمتني.

قل كما قال أحدهم:

وبتُّ أشكو إلى مولاي ما أجدُ	لبستُ ثوبَ الرِّجَا والنَّاسُ قد رقدُوا
ومَنْ عليه لكشفِ الضَّرِّ أَعْتَمَدُ	وقلتُ: يا أُملي في كلِّ نائبةٍ
ما لي على جِملها صبرٌ ولا جلدُ	أشكو إليك أمورًا أنتَ تعلمُها
إليك يا خيرَ من مُدَّتْ إليه يدُ	وقد مددتُ يدي بالذلِّ مبتهلاً
فبحرُ جودِكِ يروي كلَّ من يَرِدُ	فلا تُردِّدْها يا ربَّ خائبةً

قل يا رب:

وقد رجوتك يا ذا المنِّ تغفرها	أذنبت كل ذنوب لست أنكرها
إذ كنت يا أُملي في الأرض تسترها	أرجوك تغفرها في الحشر يا سيدي

٣- يا باغي الخير: اجتهد في رمضان بقدر ما تستطيع:

النفوس البشرية ضعيفة، فالفتور يدب فيها، والشيطان يغويها، والهوى يذنيها، والدنيا تطغيها. ومن رحمة الله بنا أنه سبحانه يرسل إلينا نفحات ورحمات في مواسم للخيرات، ما يجدد نشاط هذه النفوس ويقوي عزمها، ويشدذ هممها، فتنتصر على شيطانها، وتخالف هواها، وتزهده في دنياها، فتحرز التفوق والنبوغ، وفي رمضان تفوح روائح الإيمان، وتستنشق عبير الجنان، وفيه تعلقو الهمم، وتتسابق النفوس إلى طاعة الرحمن، ويعلو فيها الإيمان، والمؤمن في هذه المواسم تجده حيي القلب، كثير الذكر والفكر، يستشعر حلاوة الإيمان في قلبه، ويجد قوة في جسده.

فإدراك رمضان من أفضل وأجلّ النعم، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى من حبيب، وكم اكتظت الأسرة بالمرضى الذين تنفطر قلوبهم وأكبادهم، ويكون دمًا بدلًا من الدموع لأنهم عاجزون عن الصيام والقيام، فهم يتمنون أن يصوموا حتى ولو يومًا واحدًا من أيام رمضان، أو يقوموا ليلة من ليلاته، لكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، وهناك من أعطاه الله الصحة والفراغ ولكنه يضيع جلّ الأوقات وأنفس الساعات فيما لا يعود عليه إلا بالحسرة يوم القيامة.

وصدق القائل حيث قال:

اغتم في الفراغ فضل ركوع
فغسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

وكان النبي ﷺ يوصي أن يغتم الإنسان فرصة الحياة ليتزود من الأعمال الصالحة.

فقد أخرج الحاكم من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: "اغتم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك". (صحيح الترغيب: ٣٣٥٥) (صحيح الجامع: ١٠٧٧)

قال أبو العتاهية:

تفكر قبل أن تتدم
ولا تغتر بالدنيا
فإنك مَيِّتٌ فأعلم
فإن صحتها يسقم
وإن جديدها يبلى
وإن شبابها يهرم
وما للمرء إلا ما
نوى في الخير أو قدّم

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "يا عجباً كيف أنس بالدنيا مفارقها، وأمن النار واردة، كيف يغفل من لا يغفل عنه، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله، وحياته إلى موته".

فالكل سيموت إلا ذي العزة والجبروت، وسنقف جميعاً بين يدي الله تعالى وسيسألنا عما قدمنا في هذه الحياة الدنيا، سنسأل عن الصغير والكبير، والنقير والقطمير.

وقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ ".

وكان السلف أحرص الناس على اغتنام الوقت، والاجتهاد في العبادة، ويتأسفون على كل لحظة ذهبت من غير طاعة.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " ما ندمتُ على شيءٍ كندمي على يومٍ غربتِ شمسُهُ نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي ".

ومر بنا أثر إبراهيم بن أدهم عندما دخل على بعض إخوانه يوماً وهو في سياق الموت، فجعل هذا الرجل يتنفس ويتأسف، فقال له إبراهيم بن أدهم: " على ماذا تتنفس وتتأسف؟ فقال: " ما تأسفي على البقاء في الدنيا، ولكن تأسفي على ليلة نمتها، وعلى يوم أفطرتة، وعلى ساعة غفلت فيها عن ذكر الله ".

فليحرص كل منا على كل لحظة من لحظات حياته، ولا ينفقها إلا في طاعة الله، حتى لا يندم عليها يوم القيامة.

فقد أخرج البيهقي بسند فيه مقال عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من ساعةٍ تمرُّ على ابنِ آدَمَ لم يذكرِ الله فيها إلا تحسَّرَ عليها يومَ القيامةِ ".

وإن كان الحديث ضعيفاً إلا أنه يشهد له الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما قعد قومٌ مقعداً لم يذكرِ الله فيه، ولم يصلُّوا على النبي صلى الله عليه وسلم، إلا كان عليهم حسرةٌ يومَ القيامةِ، وإن دخلوا الجنةَ للثوابِ ". (صحيح الترغيب: ١٥١٣)

حتى عصى ربُّه في شهر شعبانِ
فلا تُصَيِّرُهُ أيضاً شهرَ عصيانِ
فإنه شهرٌ تسبيحٍ وقُرْآنِ
من بين أهلٍ وجيرانِ وإخوانِ
حيًّا فما أقربَ القاصي من الداني

يا ذا الذي ما كفاه الذنبُ في رجبٍ
لقد أظلكَ شهرُ الصَّومِ بعدَهُمَا
واتلُ القرآنَ وسبِّحْ فيه مجتهداً
كم كنتَ تعرفُ ممن صام في سلفِ
أفناهُمُ الموتُ واستبَقاكَ بعدهمُ

(لطائف المعارف لابن رجب ص: ١٥٥)

فعندما يموت الإنسان ويدخل القبر، لا يستطيع أن يزيد في حسناته حسنة واحدة، فهو لا إلى دنياه عائد ولا في حسناته زائد، وهنا يتمنى الإنسان أن لو عاد إلى الدنيا مرة أخرى ليستكثر من الزاد لهذا اليوم- يوم المعاد-.

وقد جاء في المعجم الأوسط للطبراني ومصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى قَبْرِ دُفْنٍ حَدِيثًا فَقَالَ: "رَمَعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْقِرُونَ وَتَنْفِلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ".** (صحيح الجامع: ٣٥١٨)

فعندما يموت الإنسان يُدرك قيمة الأشياء على حقيقتها، فيُدرك أن الأعمال الصالحة التي تزيد ثوابه خير له من متاع الدنيا كله.

فاجتهد أخي الحبيب في رمضان وفي غيره سائر شهور العام بقدر ما تستطيع فأنت في أمنية كثير من الأموات، فعليك بالعزم الصادق، والهمة العالية على تعمير رمضان بكل ما تستطيع من عمل صالح. قال تعالى: **﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلُوّ صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾** (سورة محمد: ٢١)

وقال تعالى: **﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾** (التوبة: ٤٦)

فعليك أخي الحبيب أن تجتهد في هذا الشهر المبارك، والمكارم منوطة بالمكاره، والخير لا ينال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليه إلا على جسر من التعب.

وقد قيل للربيع بن خثيم- وكان مجتهداً في العبادة- لو أرحت نفسك؟ فقال: راحتها أريد. (يقصد أن ما يفعله في الدنيا من طاعة وعبادة سيكون سبباً في راحته وسعادته يوم القيامة- يوم الحسرة والندامة-)

وها هو دينار العيار-رحمه الله- كان مسرفاً على نفسه، وكان له أم تعظه فلا يتعظ، فمر في يوم من الأيام بمقبرة وقد خرجت العظام من المقبرة، فتذكر مصيره، وتذكر نهايته، وتذكر أنه على الله قادم، فأخذ عظماً نخرًا في يده ففتته، وقال: "ويحك يا نفس، كأي بك غداً قد صار عظمك رفاتاً، وجسمك تراباً، وما زلت مكبّة على المعاصي واللذائذ والشهوات"، ثم ندم وعزم على التوبة. ورفع رأسه للسماء قائلاً: "إلهي ألقيت إليك مقاليد أمري، فاقبلني واسترني يا أرحم الراحمين"، ثم رجع إلى أمه متغير اللون، منكسر القلب، فكان إذا جنّه الليل أخذ في القيام والبكاء، وأخذ في النحيب وهو يقول: "يا دينار ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار؟"، فجعل يقوم الليل ويصوم النهار، فرفقت به أمه، فقالت: "يا بني ارفق بنفسك قليلاً"، فقال: "يا أماه! دعيني أتعب قليلاً لعلني أستريح طويلاً، يا أماه إن لي موقفاً بين يديّ الجليل، ولا أدري إلى ظل ظليل، أم إلى شر مقيل؟ قالت: "يا بني أكثرت من تعب نفسك؟"، قال: "يا أماه بل راحتها أريد، بل راحتها أريد".

وصدق القائل حيث قال: من أراد الراحة ترك الراحة.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-: متى الرَّاحَةُ يا إمام؟ فقال: "عند أوَّل قَدَمٍ تَضَعُهَا فِي الْجَنَّةِ".
(المقصد الأرشد: ٢/٣٩٨)

ونيل الدر من قاع البحر لا يأتي إلا بعد معاناة الشدائد.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر.

يقول المتنبي-رحمه الله-:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

فرمضان مضمار سباق شعاره: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران: ١٣٣)

فليكن شعارك في رمضان: " لا يسبقني إلى الله أحد "

فليكن شعارك في رمضان: " ليرين الله ما أفعل "

فليكن شعارك في رمضان: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (طه: ٨٤)

٤- يا باغي الخير: إن تعثرت في رمضان فلا تتوقف:

فإذا أصبت بالكسل أو الفتور فلا تستسلم، فقم من رقدتك وانفض عنك غبار الغفلة وواصل السير، فالأمر

خطير، وقد قال رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ (المدثر: ٣٧) فالآية لم تذكر

واقفاً، بل ذكرت تقدماً وتأخراً، وبهذا يُعلم أن من لم يكن في تقدُّم فهو في تأخر.

يقول الحسن البصري-رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ

شُكُورًا ﴾ (الفرقان: ٦٢). من عجز بالليل كان له في أول النهار مستعتب^(١)، ومن عجز عن النهار كان له في

الليل مستعتب "

١- مستعتب: أي فرصة للاعتذار والاستغفار.

٥- يا باغي الخير: احرص على أسباب المغفرة في رمضان:

وأَسبابُ المغفرة في رمضان كثيرة منها:

١- التوبة: كما مر بنا.

٢- صيام رمضان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا ^(١) وَاحْتِسَابًا ^(٢) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".

والغفران مشروط بشرطين: الإيمان والاحتساب، وهما مدار الفرق بين العادة والعبادة فبدونهما يكون الصوم إرثًا وتقليدًا، قلما يدفع صاحبه إلى الخير وينهاه عن الشر. (الصوم في ضوء الكتاب والسنة للأشقر ص: ١٤)

وفي مسند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: " مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، يُصَلِّي الصَّلَاةَ الْخَمْسَ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، غُفِرَ لَهُ "، قُلْتُ: أَفَلَا أُبَشِّرُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " دَعَهُمْ يَعْمَلُوا ". (الصحيحة: ١٣١٥)

٣- قيام رمضان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".

٤ - قيام ليلة القدر:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".

فأسباب المغفرة متوفرة في رمضان دون غيره من الشهور؛ فأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النار مغلقة، والشياطين مصفدة، من قامه الله إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من قامها الله إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، والله فيه عتقاء من النار وذلك في كل ليلة، فهل يتصور بعد ذلك كله أن يخرج الإنسان من رمضان صفر اليدين، ولم يغفر له، والله إن كان ذلك كذلك فقد رغم أنفه.

١ - إيمانًا: أي صام رمضان تصديقًا بما جاء في ذلك من نصوص الكتاب والسنة في فرضيته وفضله.
٢ - واحتسابًا: أي من صام رمضان طلبًا لثواب الله تعالى ورغبة في الأجر، واحتسابه على الله، مخلصًا لله في ثوابه (انظر شرح النووي على مسلم: ٢٨٦/٥) وقال أبو حاتم بن حبان: " إيمانًا " يريد إيمانًا بفرضه، و" احتسابًا " يريد به مخلصًا فيه وقال البيهقي " احتسابًا " أي طلبًا لوجه الله وثوابه. وقال الخطابي - رحمه الله - وقوله " إيمانًا واحتسابًا " أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه غير كاره له، ولا مستثقل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب. اهـ

٥ - حضور مجالس العلم:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرْقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ^(١)، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَا كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْنَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْنَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْنَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْنَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْنَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْنَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْنَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْقَوْمَ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ".

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ". (صحيح الجامع: ٥٦٠٩)

وأخرجه أيضًا الإمام أحمد بلفظ: "ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بَدَّلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٤)

وعند الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما جَلَسَ قَوْمٌ (مَجْلِسًا) يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ: قَوْمُوا قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَبَدَّلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ". (الصحيحة: ٢٢١٠) (صحيح الجامع: ٥٦١٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٠٦)

- وجالس الذكر يباهي الله بهم الملائكة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: "مَا أَجْلَسَكُمْ؟" قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: "اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟" قَالُوا: "اللَّهُ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ". قَالَ: "أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرَائِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ".

١- أهل الذكر أو مجالس الذكر أو حلق الذكر: المقصود بها هي حلق العلم، لا كما يفعله غلاة المتصوفة حيث يتحلقون حلقة ويذكرون الله ذكراً ممنوعاً ويظنون أن هذه هي حلق الذكر التي يقصدها الرسول ﷺ، وهذا خطأ غير مشروع، لكن حلق الذكر في الحديث يعني حلق العلم.

قال عطاء رحمه الله: إن مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تبيع وتشترى وتصلي، وتصوم، وتنكح، وتطلق، وتحج، وأشبه ذلك. وقال القرطبي رحمه الله: مجلس الذكر: يعني مجلس علم وتذكير، وهي المجالس التي يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله ﷺ وأخبار السلف الصالح، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة من التصنع والبدع، والمنزهة عن المقاصد الرديئة والطمع ومما يدل على أن المراد بالذكر هو مجالس العلم ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر".

٦- يا باغي الخير: إذا صمت فلتصم جوارحك:

يقول جابر رضي الله عنه كما في "مصنف ابن أبي شيبة": "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك وفطرك سواء".

ويقول زين العابدين-رحمه الله-: "حق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك، ليسترك من النار" وهكذا جاء في الحديث: "الصوم جنة من النار".

(رسالة الحقوق ص: ١٠٧)

ويقول ابن الجوزي-رحمه الله- كما في "بستان الواعظين ص: ٣٠٠": "ما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمها الصوم في رمضان وغير رمضان، فصوم اللسان: ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالى، وصوم السمع: ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه، وصيام العينين: ترك النظر والغض عن محارم الله". اهـ.

وإذا نظرت إلى كلام ابن الجوزي-رحمه الله-؛ علمت أن لكل جارحة عليها صيام، وصيامها أن تكفَّ عن العصيان، فاللسان يصوم عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، والفم يصوم عن الحرام وشرب الدخان، والأذن تصوم عن سماع ما يغضب الرحمن، والعين تصوم عن النظر إلى النسوان، واليد تصوم عن أخذ الرشوة والسرقة والبطش والطغيان، والبطن تصوم عن أكل الحرام، والقلب يصوم عن الكراهية والبغضاء والشحناء والحسد والخصام.

ومن يجهل حقيقة هذا الصيام فله حظ ونصيب من كلام الحبيب صلى الله عليه وسلم: "رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر".

(رواه الإمام أحمد وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو في صحيح الجامع: ٣٤٨٨)

وهذا لأنه صام عن الطعام والشراب وهو أهون الصيام، لكن لم تصم جوارحه عن الحرام، فتراه لا يمنعه صومه من إطلاق اللسان، والوقوع في الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، ويطلق للأعين والآذان الحبل والعنان، لتقع في الذنوب والعصيان، وصدق بعض الحكماء حيث قال: "كم من صائم مفطر، وكم من مفطر صائم".

قال الغزالي-رحمه الله- في الحديث السابق: "قيل: هو الذي يفطر على حرام، أو من يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام". اهـ.

٧- يا باغي الخير: اهتم بقلبك أكثر من اهتمامك بجسدك:

يتعهد الإنسان منا جسده حرصًا على إبقائه، فيأخذ بالأسباب لحياته، فتجده يتناول الطعام النافع في أوقات متقاربة حفاظًا على حياة الجسد، وإن أكل طعامًا مسمومًا عن طريق الخطأ، أسرع في التخلص منه، حفاظًا على حياة الجسد، وإذا مرض أسرع إلى الطبيب وأخذ الدواء حفاظًا على حياة الجسد، وفي الشتاء القارص يلبس الملابس الثقيلة حفاظًا على حياة الجسد، وفي الصيف يلبس الخفيف من الملابس حفاظًا على هذا الجسد، فهو يحمي جسده من كل آفة ولا يعرضه لأي خطر.

وهذا كله لا شيء فيه بل يكون فعله واجبًا، لكن على الإنسان كما يهتم بحياة جسده أن يهتم بحياة قلبه، بل وحياة القلب والاهتمام به أولى بالاهتمام من حياة الجسد.

فإذا كانت حياة الجسد تؤهله لمعيشة طيبة غير منغصة بالمرض في الدنيا، فحياة القلب تؤهله لمعيشة طيبة طاهرة في الدنيا، وسعادة غير متناهية في الآخرة. فإن مدار سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة على سلامة وصلاح القلب.

وكذلك موت الجسد يقطع الإنسان عن الدنيا، وموت القلب يقطع عن الدنيا والآخرة، وتبقى آلامه أبد الآباد.

قال بعض الصالحين: "عجبا لهؤلاء الناس ييكون على من مات جسده، ولا ييكون على من مات قلبه؛ وهو أشد".

وهذا ما نراه جليًا واضحًا فإن كثيرًا ممن ماتت قلوبهم بالمعاصي والذنوب، وترك الطاعات والفرائض، لا يبكي عليهم أحدًا، ولكن إذا ماتت الأجساد ارتفعت الأصوات وتعالّت بالبكاء.

والإسلام لم يهتم بشيء في الإنسان بقدر ما اهتم بقلبه، فهذه المضغة هي بيت الإيمان وموقع الصدق ومحل الإخلاص، والقلب واللسان أعظم ما في الإنسان وأهم ما فيه، وكل أعمال الإيمان من خوف ورجاء، وتوكل وإنابة، وإخبات ويقين، وصدق ومحبة إنما محلها القلب.

وقبول الأعمال وتفاضلها إنما هو متوقف على ما في القلب من صدق وإخلاص ومعاني الإيمان، فمتى فرغ القلب منها فعند ذلك، لا يفيد عمل، ولا تقبل طاعة، ولا ينتفع عبد بعبادة.

ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن القلب، فكل إنسان منا عليه أن يسعى لصلاح قلبه لأنه أصل كل خير.

يقول ابن مفلح -رحمه الله-: "صلاح القلوب رأس كل خير، وفسادها رأس كل شر".

ويقول العز بن عبد السلام -رحمه الله-: "صلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجساد موقوف على فساد القلوب.

ولذلك قال النبي ﷺ: "... أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَّحَتْ، صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ". (رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير ؓ)

قال الإمام النووي-رحمه الله:- " في هذا الحديث تأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد" (شرح مسلم للنووي: ٣٣/٦)

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله:- " سمي القلب قلباً لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في القلب مقلوباً... وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير، تصلح الرعية، وبفساده تفسد. وفي هذا الحديث تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه" (فتح الباري: ١٥٦/١)

وكان أبو هريرة ؓ يقول: " القلب ملكٌ والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده ".

ففي الحديث السابق ذكر النبي ﷺ كلمة جامعة لصلاح حركات بني آدم وفسادها، وهي أن أساس صلاح الجسد كله وأساس فساده مبني على صلاح القلب وفساده؛ فإذا صلح القلب صلحت إرادته، وصلاح جميع الجوارح، فلم تتبع إلا إلى طاعة الله، واجتناب سخطه، فقنعت بالحلال عن الحرام، وإذا فسد القلب فسدت إرادته، وفسدت الجوارح كلها، وانبعثت في معاصي الله عز وجل، وما فيه سخطه، ولم تقنع بالحلال، بل أسرع في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق. (الدرر السنية)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله:- " القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة، سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ: أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَّحَتْ، صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ".

ويقول ابن رجب-رحمه الله- في " كتابه جامع العلوم والحكم ": "... الأصل في التقوى والفجور هو القلب، فإذا بر القلب واتقى، برت الجوارح، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح، كما قال النبي ﷺ: " التقوى ها هنا.. وأشار إلى صدره ".

والقلب هو محل نظر الرب سبحانه، كما قال ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ". (رواه مسلم).

وفي سورة الحج قال سبحانه: ﴿لَنْ نَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ نَبَالُهُ تَقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج: ٣٧).

قال د. محمد الخضير: " ورد ذكر القلب في القرآن أكثر من ١٣٠ مرة وأضيف إليه أكثر من ٣٦ عملاً ووصفاً، وكل ذلك دال على عظيم محله، وأنه ملك الجوارح، ومع ذلك نرى إهمال العباد لقلوبهم؛ فلا يزكونها، ولا يتعلمون حق الله فيها، وينشغلون عنها بأعمال الجوارح وهي الأصل ". اهـ

ويوم القيامة لا يدخل الجنة إلا صاحب القلب المنيب، ولا ينجو إلا صاحب القلب السليم، قال تعالى: ﴿وَأَرْزُقْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣٣) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٤) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿ (ق: ٣١-٣٣)

وقال على لسان خليله إبراهيم: ﴿ولا تخزني يوم يعثون (٨٧) يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (الشعراء: ٨٧-٨٩)

والقلب السليم هو القلب الذي سلم توحيده لله من كل شرك، وسلم من كل شبهة تعارض الأمر، وكل شهوة تخالف النهي، وكل هوى يخالف مراد الله تعالى. ولهذا يسعى الشيطان لإفساد هذا القلب، وتفريغه مما ينفعه ويسره، وشغله بما يؤذيه ويضره، ويبدل وسعه لإعطابه وإبعاده عن السلامة التي لا ينجو إلا بها؛ ولهذا وجب صيانته منه ومن نزغاته، والانتباه لسلامة القلب ونقاوته لتتم له السلامة يوم الدين.

فصاحب القلب السليم هو الذي تكتب له النجاة عند العرض على رب العالمين يوم الدين، والقلب السليم هو الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سوى الله، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ، فخلصت عبوديته لله تعالى إرادة، ومحبة، وتوكلاً، وإنابة، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله، فإذا أحب أحب في الله، وإذا أبغض أبغض في الله، وأذا أعطى أعطى الله، وإذا منع منع الله.

واستقامة القلب بشيئين: أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره، سبق حبُّ الله تعالى حبَّ ما سواه. الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الأمر الناهي. (الوابل الصيب باختصار)

يقول ابن القيم -رحمه الله- أيضاً في "مفتاح دار السعادة ص: ٥٤": "القلب السليم الذي ينجو من عذاب الله هو القلب الذي قد سلم لربه وسلم لأمره ولم تثبق فيه منازعة لأمره ولا معارضة لخبره فهو سليم مما سوى الله وأمره، لا يريد إلا الله، ولا يفعل إلا ما أمره الله، فالله وحده غايته، وأمره وشرعه وسيلته وطريقته، لا تعترضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره، لكن لا تمر عليه إلا وهي مجتازة تعلم أنه لا فرار لها فيه، ولا شهوة تحول بينه وبين متابعة رضاه، ومتى كان القلب كذلك فهو سليم من الشرك، وسليم من البدع، وسليم من الغي، وسليم من الباطل، أنه القلب الذي قد سلم لعبودية ربه حياءً وخوفاً وطمئناً ورجاءً ففني بحبه عن حب ما سواه، وبخوفه عن خوف ما سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه، وسلم لأمره ولرسوله تصديقاً وطاعة واستسلم لقضائه وقدره، فلم يتهمه ولم ينازعه ولم يتسخط لأقداره، فأسلم لربه انقياداً وخضوعاً ودلاً وعبوديةً، وسلم جميع أحواله وأقواله وأعماله وأذواقه ومواجيده ظاهراً وباطناً من مشكاة رسوله وعرض ما جاء من سواها عليها فما وافقها قبله وما خالفها رده وما لم يتبين له فيه موافقة ولا مخالفة وقف أمره وأرجأه إلى أن يتبين له وسالم أوليائه وحزبه المفلحين الذابين عن دينه وسنة نبيه القائمين بها وعادى أعداءه المخالفين لكتابه وسنة نبيه الخارجين عنهم الداعين إلى خلافهما". اهـ

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في " كتابه الداء والدواء ص: ١٥١": " فالقلب السليم هو الذي يسلم من الشرك، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله. ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحدة منها أنواع كثيرة، تتضمن أفرادا لا تتحصر.

وسلامة القلب من أهم صفات عباد الرحمن، الذين مدحهم الله في كتابه قائلا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر: ٩، ١٠).

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحَيْتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلِيهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لِأَحْيَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمَّ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيْالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِي بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ قَالَ فَلَمَّا وَلَيْتُ دَعَانِي فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أُجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ.

فمن صلح قلبه فقد ولد من جديد:

فمن المعروف أن القلوب خلقت لمحبة الله وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لكن قد تنتكس هذه القلوب فتغرق في وحل الشهوات أو في ظلال الشبهات، فيتمكن الشيطان منها ويلعب بها كما يلعب الصبي بالكرة، فإذا أفاق الإنسان وتحرر من كيد الشيطان، ورجع إلى الرحمن، وامتلاً قلبه إجلالاً له، ومحبة، وتعظيمًا، وحياءً، فقد ولد هذا القلب من جديد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الولادة نوعان: أحدهما: هذه المعروفة. والثانية: ولادة القلب والروح وخروجهما من مشيمة النفس وظلمة الطبع، وهذه الولادة لما كانت بسبب الرسول ﷺ كان كالأب للمؤمنين". اهـ.

ومما سبق يتبين لنا أن حياة القلوب وإضاءتها مادة كل خير، وموت القلب وظلمته مادة كل شر، ومن هنا كان لا بد من الاهتمام بالقلب ورعايته والمحافظة على صحته وسلامته وحمايته من الآفات التي قد تفتك به.

فعلى كل إنسان آمن بالرحمن وخاف سوء الحساب أن يفتش عن أحوال قلبه، ويسأل نفسه: أين قلبي؟ أهو مع الرحمن؟ أم مع الشيطان؟ أهو يجول في ملكوت الله ويسبح تحت العرش؟ أم أنه منغمس في الشهوات، وهمه ملئ الكرش والنوم على الفرش؟ أهو فوق الثريا؟ أم تحت الثرى؟

وها هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول لرجل: داو قلبك؛ فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم.

أي مراده منهم ومطلوبه منهم صلاح القلب.

فلنعلم جميعاً أن السعادة والشقاء، والفوز والخسار، والنعيم والجحيم، نتيجة فساد أو صلاح هذه القلوب.

وقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا

يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ...". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٥٥٤)

فعلينا أن نهتم بصلاح القلوب فهو من الأهمية بمكان، وبه السعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٨- يا باغي الخير: اقتحم العقبات بقوة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (سورة البلد: ٤-١٣)

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا. ثم قال في نعم الدين: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي. فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك. (تفسير السعدي)

وبعد بيان هذه النعم الجليلة التي أنعم الله بها سبحانه على الإنسان، أتبع سبحانه ذلك بحضه على المداومة على فعل الخير، وعلى إصلاح نفسه، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ.

فَكُّ رَقَبَةٍ (١٢) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٣) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٤) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَرْجَةٍ﴾ والفاء في قوله سبحانه: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ للتفريع على ما تقدم، والمقصود بهذه الآية الحض على فعل الخير بدل الشر.

ومعنى ﴿اقْتَحَمَ﴾: من الاقتحام للشيء، بمعنى دخوله بشدة. يقال: اقتحم الجنود أرض العدو، إذا دخلوها بقوة وسرعة، وبدون مبالاة بارتكاب المخاطر. والعقبة في الأصل: الطريق الوعر في الجبل، والمراد بها هنا: مجاهدة النفس، وقسرها على مخالفة هواها وشهوتها، وحملها على القول والفعل الذي يرضي الله تعالى. والمعنى: لقد جعلنا للإنسان عينين ولسانا وشفتين. وهديناه النجدين. فهلا بعد كل هذه النعم، فعل ما يرضينا، بأن جاهد نفسه وهواه، وبأن قدم ماله في فك الرقاب، وإطعام اليتامى والمساكين.

وقد استعيرت العقبة لمجاهدة النفس، وحملها على الإنفاق في سبيل الخير، لأن هذه الأعمال شاقة على النفس، فجعلت كالذي يتكلف سلوك طريق وعر. ويصح أن تكون "لا" هنا، على معناها الحقيقي وهو النفي، فيكون المعنى: أن هذا الإنسان الذي جعلنا له عينين.. لم يشكرنا على نعمنا، فلا هو اقتحم العقبة، ولا هو فعل شيئاً ينجيه من عذابنا. والاستفهام في قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ لتفخيم شأنها، والتهويل من أمرها، والتشويق إلى معرفتها. والكلام على حذف مضاف، والتقدير: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟". اهـ بتصريف واختصار (التفسير الوسيط)

والخلاصة: أن كل إنسان يريد أن يدخل الجنة بسلام فعليه أن لا يتكاسل ولا يتوانى ويقتحم العقبات التي تقابله (مجاهدة النفس، والهوى، والدنيا، والشيطان) بقوة، وعزم، وهمة عالية حتى يجاوزها.

9- يا باغي الخير: عليك بالإنفاق وكثرة الجود في سائر الأيام وخصوصاً في شهر رمضان^(١).

النبي ﷺ هو حبيبنا، وإمامنا، وقدوتنا، وأسوتنا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١)

وقد جاء في التفسير الميسر: "لقد كان لكم أيها المؤمنون في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال". اهـ

والمأمل في سيرة النبي ﷺ يجد أن الجود والعطاء والإنفاق من أكثر سجاياه، وما كان يدخر شيئاً عنده من خير عن الناس، وما سئل شيئاً قط فقال: لا.

أخرج البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: **أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَحَسَنَتْهَا فُلَانٌ، فَقَالَ: أَكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَتْهَا، قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لِبِسَتْهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبِسُهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.**

الشاهد هو قول الصحابة: **"وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ"**.

- وفي الصحيحين من حديث جابر ﷺ قال: **"ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا"**.

- وأخرج مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ."**

- وفي رواية: **"فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ"**.

وقد أحسن القائل حيث قال:

تناها لقبضٍ لم تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ	تعوّد بسط الكفّ حتى لو أنه
كأنّك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ أَمْلُهُ	تراه إذا ما جئتَه متهللاً
لجاد بها فليتق الله سائله	ولو لم يكن في كفه غير روجه
فلجّبه المعروف والجود ساحله	هو البحر من أيّ النواحي أتيتَه

١- هناك رسالة للمؤلف عن "فضل الصدقة" ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكوراً غير مأمور.

هذا حال النبي ﷺ حيث الجود والكرم والبذل والعطاء، ويزداد هذا العطاء والإحسان والجود في رمضان. فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ^(١) بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ** ".
- وأخرجه الإمام أحمد بزيادة: " لا يسأل عن شيء إلا أعطاه " .

ويستفاد من قول ابن عباس-رضي الله عنهما-: "**أجود بالخير من الريح المرسلة**" سرعة مبادرته ﷺ في الجود والإحسان في رمضان، واستتفاع الجميع بذلك كما هي سرعة الريح المرسلة، وعمومها لجميع ما تهب عليه.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في "الفتح: ٤/١٣٩": " قال الزين بن المنير-رحمه الله- في شرحه للحديث: " أي: فيعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة " .

وقال الشافعي-رحمه الله-: " أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان، اقتداء بالرسول ﷺ لحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، وانشغال كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم " . (السنن والآثار للبيهقي: ٧/ ٢٠٣)

والعطاء والبذل والإحسان يزيد في رمضان لأسباب، منها:

- ١- شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.
- ٢- إعانة الصائمين، والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا. وفي الحديث الذي رواه أبو داود والبيهقي من حديث زيد بن خالد **ﷺ عن النبي ﷺ قال: " مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا "** .

٣- أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعنق من النار، لا سيما ليلة القدر. والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال ﷺ: "**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ**" . (رواه البخاري) فمن جاد على عباد الله؛ جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل.

٤- أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما في الحديث الذي رواه الترمذي عن علي **ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفًا يَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بَطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا "** . قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: **لِمَنْ طَيَّبَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ "** .

(صحيح الجامع: ٢١٢٣)

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن: الصيام، والقيام، والصدقة، وطيب الكلام، فإنه ينهى الصائم عن اللغو والرفث. والصيام، والصلاة، والصدقة، توصل صاحبها إلى الله عز وجل.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا، قَالَ: " فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا، قَالَ: " فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا، قَالَ: " فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِيٍّ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ."**

٥- أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وخصوصًا إن ضمَّ إلى ذلك قيام الليل، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: " **الصيام جنَّةٌ** ". (رواه البخاري ومسلم)

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **الصدقة تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ مِنَ جَوْفِ اللَّيْلِ** ". يعني أنه يطفئ الخطيئة أيضًا.

(صحيح سنن ابن ماجه: ٣٢٠٩)

وفي الحديث الذي رواه البخاري أنه ﷺ قال: " **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** ".

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: " **صَلُّوا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ رَكَعَتَيْنِ لظِلْمَةِ الْقُبُورِ، صُومُوا يَوْمًا شَدِيدًا حَرَّهُ، لِحَرِّ يَوْمِ النَّشُورِ، تَصَدَّقُوا بِصَدَقَةٍ لَشَرِّ يَوْمٍ عَسِيرٍ** ".

٦- أن الصيام لا بدَّ أن يقع فيه خللٌ ونقصٌ، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث. (لطائف المعارف ص: ٢٨٣)

فلا تبخل أخي الحبيب في رمضان ولا في غيره من الإحسان والجود والبذل والعطاء، **واعلم أن الصدقة علامةٌ على صحة إيمانك^(١)**:

والصدقة لغة تلتقي مع مادة "الصدق" في أصل المادة، وفقه اللغة يؤكد ارتباط المادة بجميع ما تفرع عنها. وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **الطَّهْوَرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو^(٢)، فَبِأَنفُسِهِمْ فَمُتِّعَهَا^(٣) أَوْ مُوبِقَهَا^(٤)** ".

١- هناك رسالة للمؤلف عن فضل الزكاة المفروضة وصدقة التطوع تجدها في سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل".

٢- يَغْدُو: يصبح أو المقصود به النهار.

٣- مُتِّعَهَا: أي من العذاب والعقاب.

٤- مُوبِقَهَا: أي مهلكها.

٢- ومن تصدق بصدقة فإن الله يخلف عليه بأفضل منها:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩)

يقول الحسن البصري -رحمه الله-: " من أيقن بالخلف جاد بالعطية "

فكل من ينفق شيئاً لله فإن الله تعالى يعوضه خيراً منه، فإن يبايع خزائنه لا تتضب، وسحائب أرزاقه سحاء الليل والنهار، وكلما أنفقت، أنفق الله عليك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " قَالَ اللَّهُ -عز وجل-: " أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ عَلَيْكَ". - وفي رواية: " أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ".

فمن الذي سينفق عليك؟ إنه الله الكريم العظيم الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فإذا أنفق عليك أكرم الأكرمين فكيف سيكون العطاء!؟

وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ١٧)

كان يحيى بن معاذ الرازي -رحمه الله- يقول: " عجبْتُ ممن يبقى معه مال وهو يسمع قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ... ﴾. (التغابن: ١٧)

وقال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة: ٢٤٥)

ومجرد تصور المسلم أنه هو الفقير الضئيل يقرض ربه، كفيل بأن يطير إلى البذل طيراناً، والناس في الدنيا يفتخرون بأنهم أقرضوا فلاناً الثري، لأنهم يعلمون أن السداد مضمون، فكيف إذا كانوا يقرضون الله الغني! وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ﴾ (المزمل: ٢٠)

فالله يضاعف لكل من أنفق في سبيله، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. كما قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦١)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث خزيم بن فاتك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَتَبَتْ لَهُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ". (صحيح الجامع: ٦١١٠)

٣- والله يقبل الصدقة ويربها لصاحبها حتى تكون يوم القيامة مثل الجبل:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ ^(١) مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبِها كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْه ^(٢) حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ ".

١- بعْدَلُ تَمْرَةٍ: أي قيمتها، فإذا فتحت العين: يعني المثل، وبكسر العين: يعني الحمل، وهذا قول الجمهور، وقال الفراء: بالفتح المثل من غير جنسه، وبالكسر من جنسه، وقيل: بالفتح مثله في القيمة، وبالكسر في النظر. "انظر فتح الباري: ٢٧٩/٣"
وقال ابن الأثير - رحمه الله - في "النهاية ١٩١/٣": "العَدْلُ والعَدْلُ بالكسر والفتح في الحديث: وهما بمعنى المثل، وقيل: هو بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس. أه
٢- فَلَوْه: بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، وهو المهر كما جاء مفسراً في رواية الترمذي. وسمي بذلك لأنه يُقْلَى: أي يُقَطَّم، وقيل: هو كل فطيم من ذوات حافر: أي من أولاد ذوات الحافر (انظر النهاية في غريب الحديث: ٤٧٤/٣) (شرح النووي: ١٠٤/٧)

٤- الملائكة تدعو للمنفق المتصدق أن يخلف الله عليه:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا ".

وأخرج الطبراني وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ مَلَكًا بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضِ الْيَوْمَ يُجْزَى غَدًا، وَمَلَكًا بِبَابٍ آخَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩١٤)

٥- الصدقة هي مال الإنسان الحقيقي التي يؤجر عليها، وهي الباقية عند الله تعالى:

فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنْنا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: " فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ ".

وأخرج الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- أَنَّهَا دَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " مَا بَقِيَ مِنْهَا؟" قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: " بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا ". ومعناه: أنهم تصدقوا بها إلا كتفها.

(صحيح الترغيب والترهيب: ٨٥٩)

تنبيه: ومما يؤكد على ما سبق - وهو أن المال الحقيقي هو الذي يتصدق به الإنسان وما سوى ذلك فهو لورثته - ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالَهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ ".

والمعنى واضح مفهوم: حيث أن المال الذي يرجع مع الأهل هو الذي لم يتصدق به فهو ليس بماله وهو مال الورثة، وأما ماله الذي تصدق به فهو من جملة الأعمال الصالحة التي تبقى معه في قبره.

٦- المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة:

أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ ". وفي رواية: " حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٨٧٢)

٧- الصدقة وقاية وحجاب من النار:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلَّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ".

- وفي رواية لهما: " مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ".

٨- الصدقة سبيل لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤)

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي نر رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: "الإيمان بالله"، قلت: يا نبي الله، إن مع الإيمان عملاً. قال: "يُرضخ مما رزقه الله". قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ به؟ قال: "يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر". قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عيباً لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؟ قال: "يصنع لأخرق". قلت: أرأيت إن كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئاً؟ قال: "يعين مغلوباً". قلت: أرأيت إن كان ضعيفاً، لا يستطيع أن يعين مظلوماً؟ فقال: "ما تريد أن تترك في صاحبك من خير، يمسك الأذى عن الناس". فقلت: يا رسول الله إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: "ما من مسلم يفعل خصله من هؤلاء، إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة". (السلسلة الصحيحة: ٢٦٦٩)

وكان من جملة الخصال التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم والتي توصل إلى الجنة أنه قال: "يُرضخ مما رزقه الله".

٩- الصدقة تدخل الإنسان الجنة من باب الصدقة:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ" فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قال: "نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ".

وأخيراً: بعدما وقفنا على فضل الصدقة، وعلمنا مالها من الفضل والأجر، نستطيع أن نعي ونفهم معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا". (رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)

والمراد بالحسد هنا في الحديث: الغبطة، وهي تمنى مثل ما للمغبط، وهذا لا بأس به، وله نيته، فإن تمنى زوال تلك النعمة عنه كان هذا هو الحسد المحرم.

وأخرج ابن خزيمة والحاكم عن عمر رضي الله عنه قال: "ذُكِرَ لِي أَنَّ الْأَعْمَالَ تَبَاهِي فَتَقُولُ الصَّدَقَةُ: أَنَا أَفْضَلُكُمْ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٨٧٨)

١- زَوْجَيْنِ: قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في "فتح الباري ١١٢/٤": والمراد بالزوجين: إنفاق شينين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد". اهـ، يعني كثوبين، أو درهمين، أو فرسين، أو شاتين، يعني زوجين من مال واحد.

١٠- يا باغي الخير: عليك بإطعام الطعام في سائر الأيام وخصوصاً في شهر رمضان^(١)!

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (الإنسان: ٨-١١)

١- إطعام الطعام من أفضل الأعمال عند الله- تعالى:-

فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: إدخالك السرور على مؤمن^(٢)؛ أشبعت جوعته، أو كسوت عورته، أو قضيت له حاجةً".
(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٥٤)

٢- خير الناس من يطعم الطعام:

فكما أن إطعام الطعام من أفضل الأعمال، ففاعله من أفضل الناس وأحسنهم.
فقد أخرج أبو يعلى والحاكم عن صُهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من أطعم الطعام، وردَّ السلام". (صحيح الجامع: ٣٣١٨) (الصحيحة: ١٤٨٠)

٣- إطعام الطعام يلين القلب القاسي:

- فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في "مكارم الأخلاق" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رجلاً شكَا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه، فقال له: "إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم".
(الصحيحة: ٨٤٥) (صحيح الجامع: ١٤١٠)

٤- إطعام الطعام حرز من النار:

فقد أخرج البخاري من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث له: "... اتقوا النار ولو بشق تمرة".

٥- إطعام الطعام سبيل لدخول الجنة:

- أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انجفل الناس^(٣) إليه فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستثبته^(٤) علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: وكان أول، ما سمعت من كلامه أن قال: "أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٤٩) (صحيح الجامع: ٧٨٦٥)

- وأخرج البخاري في "الأدب المفرد" والحاكم وابن حبان عن هاني بن يزيد رضي الله عنه أنه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، أي شيء يُوجب الجنة؟ قال صلى الله عليه وسلم: "عليك بحسن الكلام، وبذل الطعام".
(الصحيحة: ١٩٣٩) (صحيح الجامع: ٤٠٤٩)

١- هناك رسالة للمؤلف عن "فضل إطعام الطعام" ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكوراً غير مأمور، ففيها المزيد.
٢- قال المناوي- رحمه الله- في "فيض القدير: ١/١٦٧": إدخال السرور؛ أي: إدخال الفرح على المسلم، بأن تفعل معه ما يسره من تبشيره بحدوث نعمة، أو اندفاع نقمة، أو كشف غمة، أو إغاثة لهفة، أو نحو ذلك من أنواع المسرة". اهـ. وقال الزمخشري: "والسرور لذة القلب عند حصول نفع أو توقعه". اهـ.
٣- انجفل الناس: بالجيم: أي: أسرعوا، ومضوا كلهم.
٤- استثبته: أي: تحققته وتبينته.

٦- إطعام الطعام رفعة في درجات الجنة:

فقد أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في "الشعب" من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات. فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السبرات، وانتظار الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٤٥٣)

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ قال: "وأما الدرجات: فإطعام الطعام".

٧- إطعام الطعام ليس فقط سبيلاً لدخول الجنة فقط، بل هو سبيل لسكن غرف الجنة:

فقد أخرج الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها فقال أبو مالك الأشعري رضي الله عنه: لمن يا رسول الله؟ قال: هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٤٦) وفي رواية: "أعدّها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام".

وهذه الغرف في أعلى الجنان حيث يتراءى أهل الجنة كما نترأى نحن الكواكب.

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب؛ لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين".

٨- من أطعم مؤمناً على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على غري، كساه الله تعالى من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع، أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم".

قال ابن رجب -رحمه الله-: "فمن جاد على عباد الله؛ جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل".

تنبيهات:

١- من أطعم الطعام وكان في حاجة الناس زادَهُ اللهُ مِنْ فضله، وأقرهم على ما هم فيه من النعم، ومن بخل وتولى نُزَعَتْ منه هذه النعمة وتحوّلت إلى غيره.

- ففي الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا في " قضاء الحوائج " والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله أقوامًا يختصُّهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقرُّها فيهم ما بذلوا، فإذا منعوها، نزعها منهم، فحوّلها إلى غيرهم ".

(الصحيحة: ١٦٩٢) (صحيح الجامع: ٢١٦٤)

- وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرّم فقد عرّض تلك النعمة للزوال ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦١٨)

- وأخرج الطبراني أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إن لله عند أقوام نعمًا أقرّها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين - ما لم يملّوها-، فإذا ملّوها نقلها إلى

غيرهم ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦١٦)

وصدق القائل حيث قال:

ليس في كل حالةٍ وأوانٍ
تتهياً صنائعُ الإحسانِ
فإذا أمكنت فبادر إليها
حذرًا من تعذّر الإمكان^(١)

وقال فيض بن إسحاق-رحمه الله-: " كنت عند الفضيل بن عياض-رحمه الله- فجاء رجلٌ فسأله حاجةً، فألحَّ في السؤال عليه، فقلت: لا تؤذ الشيخ، فزجرني الفضيل، وصاح عليّ، وقال: أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمٌ من الناس عليكم؟! فاحذروا أن تملّوا النعم فتحوّل نفعًا، ألا تحمد ربك أن جعلك موضعًا تُسأل ولم يجعلك تُسأل ". (كتاب "الحدائق" لابن الجوزي)

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه في صالح الأعمال نفسك فأجعل^(٢)

٢- من صور إطعام الطعام: إطعام الصائمين:

وإطعام الصائمين فيه فضل كبير، وأجر عظيم، حيث له مثل أجر الصائم.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن زيد بن خالد ﷺ عن النبي ﷺ قال: " مَنْ فَطَّرَ صائِمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينتقص من أجر الصائم شيئًا ". (صحيح الجامع: ٦٤١٥) (صحيح الترمذي: ٨٠٧)

- وفي حديث آخر أخرجه البيهقي من حديث زيد بن خالد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من فَطَّرَ صائِمًا، أو جهَّزَ غازيًا، فله مثل أجره ". (صحيح الجامع: ٦٤١٤)

١- لمحمد بن طاهر الرقي.

٢- لحزن بن جناب.

٣- على الزوجة أن تصحح النية عند إعداد الطعام للزوج والأولاد في رمضان وفي غيره من أيام الصيام؛ وهذا فيه من الأجر العظيم، والذي تستطيع أن تتحصل عليه الزوجة عند إعداد الطعام للزوج والأولاد.

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: **كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوَّام وقام المفطرون، فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذهب المفطرون اليوم بالأجر."**

فهؤلاء مفطرون وذهبوا بالأجر، فما نقول في كون القائم على خدمة الصائم صائماً مثله، فمما لا شك فيه أن أجره مضاعف، بل لا نبالغ إن قلنا: إن كثيراً من الرجال حرموا هذا الأجر، وخص الله به النساء، فعلى النساء أن يحتسبن نية تفتير الصائمين عند إعدادهن الطعام، فيأخذن أجر من تفترن. وقد مر بنا في الحديث: **"من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً"**.

وانظر أخي الحبيب لهذا الحديث بعيني قلبك وتمعن فيه لتعلم مدى رحمة رب العالمين وعظيم فضله وكرمه على عباده. أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"بينما كلب يطيف بركبة، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به"**. فانظر أخي الحبيب إلى عظيم فضل الله تعالى؛ فهذه امرأة بغي من بغايا بني إسرائيل سقت كلباً كاد يقتله العطش فغفر الله لها بذلك، فما الظن بمن يسقي أو يطعم صائماً؟!

١١- يا باغي الخير: عليك بكثرة الدعاء في سائر الأيام وخصوصاً في شهر رمضان^(١):

فالدعاء له منزلة عظيمة في الإسلام، فهو من أعظم العبادات وأشرفها؛ لأنه يظهر حاجة الإنسان وافتقاره إلى مولاه، فالعبد يسأل ربه سبحانه وتعالى جلب نفع، أو دفع ضرر، لأنه يعلم يقيناً أن الله تعالى بيده مقادير كل شيء، فيتعلق قلبه به، ويقبل عليه، ولهذا فهو من أفضل العبادات التي يحبها رب الأرض والسموات.

فقد أخرج الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أفضل العبادة الدعاء^(٢)، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾"** (صحيح الجامع: ١١٢٢) (الصحيحة ١٥٧٩) فالدعاء عبادة لا تصرف إلا لله تعالى، ومن يدعو غير الله تعالى فقد أشرك. قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾**

١- هناك رسالة للمؤلف عن "فضل الدعاء" ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكوراً غير مأمور.
٢- ومما يدل على أن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله تعالى، قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: (وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَيَّا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (مريم: ٤٨، ٤٩) ويدل على هذا أيضاً قول أصحاب الكهف: (رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُكَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) (الكهف: ١٤) قال بعض أهل التفسير في هذه الآية: أي لن نعبد غيره.
ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (الأحقاف: ٦٠، ٥)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"^(١) ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠) . (صحيح الجامع: ٣٤٠٧) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٧)

ففي هذه الآية سمى الله تعالى الدعاء: عبادة. والعبادة فيها تذلل وخضوع للمعبود سبحانه، وهذا تجده في الدعاء ففيه إظهار فقر، وحاجة، وتذلل من العبد الفقير الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً إلى الله تعالى القادر على جلب جميع المنافع، ودفع جميع المضار.

فالدعاء مفتاح السعادة، وأصل كل خير:

قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه: "الفوائد ص: ٢٧": "أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها وتنتصرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبد، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرغبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مَرْتَجًا دونه... وما أتى من أتى إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر - بمشيئة الله وعونه - إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء". اهـ

عليك أخي الحبيب أن تكثر من الدعاء في رمضان:

وقد ذكر الله تعالى الدعاء بعد ذكر آيات الصيام فقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَكَأَيُّرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٥، ١٨٦)

وفي هذا حضٌّ وتنبيهٌ ودلالة على فضل الدعاء خصوصاً في الصيام.

يقول ابن كثير -رحمه الله- في "تفسيره: ٢١٩/١": "ذكر الله تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاداً إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وكذا كل فطر".

١- قال الخطابي رحمه الله وقوله ﷻ: "الدعاء هو العبادة": معنى أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، كقولهم: الناس بنو تميم، والمال: الإبل، وكقول النبي ﷺ: الحج عرفة".

أخي الصائم لا تنس الدعاء في هذه المواطن:

١- عند رؤية الهلال:

فقد أخرج الترمذي وأحمد والدارمي من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ^(١)، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ". (صحيح الترمذي: ٣٤٥١)

٢- الدعاء في وقت الصيام:

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ عَتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةٌ^(٣) ".

وعند البزار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ - يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ -، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةٌ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٢)

فالصائم له دعوة مستجابة كما بين هذا الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ".

(صحيح الجامع: ٣٠٣٠) (الصحيحة: ١٧٩٧)

قال المناوي -رحمه الله-: " ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ " أي: عند الله تعالى إذا توفرت شروطها^(٤). " دَعْوَةُ الصَّائِمِ " حتى يفطر، ومراده كامل الصوم الذي صان جميع جوارحه عن المخالفات، فيجاب دعاؤه لطهارة جسده بمخالفة هواه ". (فيض القدير للمناوي: ٣/ ٣٠٠)

وأخرجه البيهقي أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ". (صحيح الجامع: ٣٠٣٢) (الصحيحة: ١٧٩٧)

فأعظم به من دعاء تنطق به شفاؤه ذابله من الصيام، يصعد إلى السماء فما يرده الرحمن بكرمه.

٣- الدعاء عند الفطر:

أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ - وَفِي رِوَايَةٍ: حِينَ يَفْطِرُ - وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ".

(صحيح ابن ماجه: ١٤٣٢) (حسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار)

١- اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ: أَيِ اجْعَلْ ظُهُورَ الْهَلَالِ مُصَاحِبًا لِلْخَيْرِ وَالْبِرَّةِ وَلِدَوَامِهِمَا وَيَقَانِهِمَا فِينَا، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَضُرٍّ يُصِيبُنَا، وَحِفْظَنَا مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، " رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ "؛ فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ أَنْ يُتَوَجَّهَ لَهُ بِالذَّعَاءِ وَالرَّجَاءِ، وَهَذَا بَيَانٌ أَنَّ الْهَلَالَ كَعَبْرَةٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُشَارِكُهُ فِي شَيْءٍ، فَهُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَخَذُ الصَّمَدُ. (الدرر السنية)

٢- قال محقق المسند: ٤٢٠/١٢: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والشك في صحابي الحديث لا يضر.

٣- قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: " يعني في رمضان " (أطراف المسند لابن حجر: ٢٠٣/٧)

٤- بأن لا يدعوا بإثم أو قطيعة رحم، أو يدعوا على نفسه أو ولده، وأن يستفتح دعائه بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله، ثم يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ويختم دعائه أيضًا بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يستحضر قلبه أثناء الدعاء، فذلك أرجى للقبول.

فالصائم دعاؤه مستجاب طول فترة صيامه، وكذلك دعوته مستجابة حين يفطر، وهذا في صيام الفرض والنفل. فينبغي علي الصائم أن يكون حريصاً علي الدعاء أثناء الصيام وعند الفطر، فيدعو أن يتقبل الله صيامه، ويدعو لنفسه ولأهله بخيري الدنيا والآخرة، ويدعو لأولاده بالصلاح، ولأمتة بالفلاح والنصر والتمكين.

يستحب أن يقال عند الفطر: **ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ** إن شاء الله.

وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود بسند حسن عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: **"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: "ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ** إن شاء الله".

(صحيح أبي داود: ٢٣٥٧) (صحيح الجامع: ٤٦٧٨)

وفي هذا الذكر اعتراف بفضل الله تعالى في إذهاب الجوع والظمأ والإنعام بالطعام والشراب، فله الحمد والمنة. والبعض يقول هذا الدعاء قبل أن يُطعم أو يشرب شيئاً، وهذا خطأ، فإن هذا الدعاء يُقال بعدما يفطر الصائم أما على رطب أو تمرات أو يشرب شربة ماء، بدليل قوله ﷺ: **"ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ"** قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو-رضي الله عنهما- يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي"**. (رواه ابن ماجه)

د- الدعاء وقت السحر:

فالناس في شهر رمضان في صيام وقيام، وغالب أحوالهم أنهم يسهرون ويدركون وقت السحر، ومع ذلك لا يستغلون هذه الفرصة العظيمة وقت نزول الملك ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل، فيقول: **"أنا الملك. أنا الذي يدعوني فاستجب له، من الذي يسألني فأعطيه، من الذي يستغفري فأغفر له"**. - وفي لفظ مسلم: **"حتى ينفجر الفجر"**.

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: **"إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة"**.

ه- الدعاء ليلة القدر:

أخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد واللفظ له عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: **قالت: قلت: يا رسول الله! رأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قل: اللهم إنك عفوٌ (١) تحبُّ العفو (٢)، فأغف عني (٣)**

١- اللهم إنك عفوٌ: والعفو هو التجاوز عن السيئات.

٢- تحبُّ العفو، أي: تحبُّ ظهور هذه الصفة.

٣- فأغف عني، أي: تجاوز عني واصفح عن زللي؛ فأني كثير التقصير، وأنت أولى بالعفو الكثير، وعفو الله تعالى يكون في الدنيا والآخرة، وهذا من آداب الدعاء؛ أن يُثني العبد على ربه سبحانه بصفة تناسب طلبه، وهذا الدعاء من جوامع الكلم، ومن دعا به حاز بخيري الدنيا والآخرة. (الدرر السنينة)

١٢- يا باغي الخير: عليك بكثرة الذكر والاستغفار في سائر الأيام وخصوصاً في شهر رمضان:

يقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه "مدارج السالكين: ٢/٢١٤": "الذكر منشورُ الولاية، الذي من أُعطيهِ اتَّصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوتُ قلوبِ القوم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارةً ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً. وهو منزلُ القوم الذي منه يتزودون، وفيه يتَّجرون، وإليه دائماً يترددون، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطّاع الطريق، وماؤهم الذي يُطْفِئون به التهابَ الطريق، ودواءُ أسقامهم الذي متى فارقهـم انتكست منهم القلوب، والسببُ الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين عَلامِ الغيوب.

إِذَا مَرَضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ وَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

وبالذكر يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهونُ عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاءُ فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازلُ فإليه مفرعُهم، فهو رياضُ جنتهم التي فيها يتقبَّلون، ورؤوسُ أموال سعادتهم التي بها يتَّجرون، يدعُ القلبَ الحزين مسروراً. والذكر عبوديةُ القلب واللسان، وهي غيرُ مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قياماً وعوداً وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان، وهو غراسها، فكذلك القلوب بورٌ خراب وهو عمارتها وأساسها. وهو جلاءُ القلوب وصيقالها، ودواؤها إذا غَشِيَهَا اعتلالها، وكلما ازداد الذاكرُ في ذكره استغراقاً ازداد المذكورُ محبةً إلى لقاءه واشتياقاً، زَيْنَ الله به ألسنةَ الذاكرين، كما زَيْنَ بالنور أبصار الناظرين. وهو بابُ الله الأعظم المفتوحُ بينه وبين عبده، ما لم يُغلقه العبد بغفلته". اهـ

والذكر والاستغفار مشروعان طوال العام، ليس له وقت محدد، ولا هيئة معينة، ولا مكان مخصوص.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما:- "إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عَدَرَ أهلها في حال العُدْرِ، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله".

إلا أن الإنسان يزداد من الذكر والاستغفار في وقت النفحات، كشهر رمضان وغيره من مواسم الطاعات.

والذكر له فضائل كثيرة، وفوائد عظيمة^(١):

- ١- الله تعالى يذكر من يذكره:
- ٢- كثرة الذكر سبيل للفلاح في الدنيا والآخرة:
- ٣- كثرة الذكر سبب للمغفرة والأجر العظيم:
- ٤- الذكر راحة وطمأنينة للقلب:
- ٥- والذكر وصية النبي ﷺ:
- ٦- الذكر من أحب وأفضل الأعمال إلى الله تعالى:
- ٧- الذكر سبب لمحبة الله تعالى:
- ٨- الذكر خير ما يكنز الإنسان:
- ٩- ذكر الله هو أفضل الأعمال عند الله وأزكاها، وخير من كثير من أعمال البر:
- ١٠- أهل الذكر تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة:
- ١١- الله تعالى يصلي هو وملائكته على أهل الذكر: ١٢- الذكر سبب لراحة البال وطمأنينة القلب:

١- وأذكر هنا العناوين فقط لعدم الإطالة، والأدلة تجدها في رسالة للمؤلف عن "فضل الذكر" ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكوراً غير مأمور.

- ١٣- بالذكر تُفْتَحُ أبوابُ السماء:
- ١٤- الذكر سبب لإجابة الدعاء:
- ١٥- كثرة الذكر أمان من النفاق:
- ١٦- الذكر أمان من اللعن:
- ١٧- الذكر أفضل من الدعاء:
- ١٨- الذكر يزيل الهم والغم، ويجلب للقلب الفرح والسرور:
- ١٩- الذكر حياة للقلوب والأبدان:
- ٢٠- الذكر يعطي قوة للذاكر في بدنه:
- ٢١- الذكر شفاء لقسوة القلب:
- ٢٢- الذكر يحفظ على الإنسان جوارحه:
- ٢٣- الذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وغير ذلك من آفات اللسان:
- ٢٤- لا يخيب الذاكر مع الذكر:
- ٢٥- الذكر يطرد الشيطان:
- ٢٦- الله تعالى يعطي على الذكر ما لا يُعطي على غيره:
- ٢٧- الذكر يجمع للعبد دنياه وآخرته:
- ٢٨- أهل الذكر هم أهل الكرم:
- ٢٩- أهل الذكر يباهي الله بهم الملائكة:
- ٣٠- الذكر يجعل صاحبه له السبق في الدنيا والآخرة:
- ٣١- الذكر يغفر الله به الذنوب:
- ٣٢- الذكر يكتب الله به الحسنات:
- ٣٣- الذكر سبب للنجاة من عذاب الله:
- ٣٤- الذكر أمان من الحسرة يوم القيامة:
- ٣٥- الذكر يثقل الموازين:
- ٣٦- أهل الذكر في ظل عرش الرحمن:
- ٣٧- الذكر سبيل للفوز بالجنة:
- ٣٨- الذكر غراس الجنة:
- ٣٩- أهل الذكر لهم مكانة عند الله يغبطهم عليها النبيون والشهداء:

أما بالنسبة للاستغفار:

وقبل الحديث عن الاستغفار فلا بد أن نعلم أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا معرض للوقوع في الزلل والخطأ والنسيان والعصيان وهذه طبيعة البشر، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ". وصدق القائل حيث قال:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط؟

والجواب: لا أحد.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة، وحثهم على الاستغفار مهما عظمت الذنوب والأوزار.

وكان أبو نر رضي الله عنه يقول: "إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الاستغفار".

ويقول قتادة-رحمه الله-: "إن هذا القرآن يدلكم على دوائكم ودوائكم، فأما دوائكم فالذنوب، وأما دوائكم فالاستغفار".

وحقيقة الاستغفار هو طلب المغفرة من الله تعالى، والمغفرة عندما يطلبها العبد من ربه، يعني يسأله أن يتجاوز عن الذنب، ويمحو ويزيل أثره، فلا يعاقب عليه، ولا يؤاخذ به، فمن عُفِرَ ذنبه لم يعاقب عليه، وهذا في حق من تاب من الذنب واستغفر الله منه، ولم يصِرَ عليه.

ولشرف وفضل وعلو مكانة الاستغفار دعا الله تعالى عباده إليه، وحثهم عليه، وحببهم فيه:

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٩٩)

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (سورة هود: ٣)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء: ١١٠)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَكَم يُصِرُّوا عَلَىٰ

مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جِزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٥، ١٣٦)

والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وما ذكر فيه الكفاية.

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي نر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي! إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا،.... يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم...".

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الشيطان قال: وعزتك يا رب، لا أبرح أغوي عبداً ما دامت أرواحهم في أجسادهم، قال الرب: وعزتي وجلالي، لا أزل أغفر لهم ما استغفروني". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦١٧)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني، فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري فأغفر له؟".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "والذي نفسي بيده، لو لم تذبوا لدَهَبِ اللَّهِ بِكُمْ، ولَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذنبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ".

- أخرج الحاكم عن البراء رضي الله عنه أن رجلاً قال له: يا أبا عمارة! قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أهو الرجل يلقي العدو فيقاتل حتى يقتل؟ قال: لا، ولكن هو الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفره الله". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٤)

• تحذير لمن يقنط الناس من رحمة الله:

- أخرج الإمام مسلم من حديث جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدث أن رجلاً قال: واللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفلانٍ، وإنَّ اللَّهَ تَعَالَى قال: مَنْ ذا الذي يَتَأَلَّى (١) عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفلانٍ، فإني قد غفرت لفلانٍ، وأحببتُ عمَلَكَ".

والاستغفار له فضائل كثيرة وفوائد عظيمة^(١)، ومنها:

- ١- الاستغفار سبب لدفع المصائب ورفع البلايا: ٢- طوبى لأهل الاستغفار:
- ٣- الاستغفار ملجأ يفرع إليه المؤمنون عند رؤية الآيات الكونية التي يخوف الله بها عباده:
- ٤- الاستغفار سبب لسعة الرزق وكثرة النسل ونزول الغيث من السماء:
- ٥- الاستغفار سبب لحصول القوة في البدن وسعة الرزق:
- ٦- الاستغفار سبب لسلامة القلب وصفائه ونقاؤه:
- ٧- من أحب أن تسره صحيفته يوم القيامة فليكثر من الاستغفار:
- ٨- الاستغفار صدقة تتصدق بها على نفسك: ٩- الاستغفار سبيل لنيل رحمة الله تعالى:
- ١٠- الاستغفار سبب لمغفرة الذنوب: ١١- الاستغفار سبيل للنجاة من عذاب الله:
- ١٢- الاستغفار سبب لدخول الجنة: ١٣- الاستغفار سبب لرفع الدرجات:

١٣- يا باغي الخير: لا تترك قيام الليل بعد رمضان:

فمن الناس من يُقبل في رمضان على التراويح والقيام بهمة ونشاط، ويواظب عليها طوال الأيام في شهر رمضان، لكن تجده يتوقف عن القيام مع ظهور هلال شوال.

فهذا نقول له كما قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-: **"يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل"**. (البخاري ومسلم)

وكانت عائشة-رضي الله عنها- تقول كما عند البخاري ومسلم: **"ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة"**.

والشاهد قولها: **"ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره"** أي أنه يداوم على القيام، فصلاة وسلاماً على خير الأنام.

فعلى الإنسان أن يحافظ ويواظب على قيام الليل وإن قلَّ، وهذا من أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: **"أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ"**.

أضف لهذا أن الإنسان إذا حافظ على قيام الليل فإنه سيتعوّد عليه ولا يستغني عنه، ويكون له سجية وطبعاً.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان والطبراني في المعجم الكبير من حديث معاوية ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **"الخير عادة والشّرُّ لجاجةٌ ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"**.

(صحيح ابن ماجه: ١٨٢)

١- وأذكر هنا العناوين فقط لعدم الإطالة، والأدلة تجدها في رسالة للمؤلف بعنوان "فضل الاستغفار" ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكوراً غير مأمور.

ومما يزيدك شوقاً لقيام الليل هو أن تقف على فضائل قيام الليل^(١)، ومنها:

- ١- قيام الليل لشكر الله على نعمه، والتأسي بالرسول ﷺ:
- ٢- قيام الليل فيه التأسي بالصالحين والتشبه بهم:
- ٣- من قام الليل كتب من الصديقين والشهداء:
- ٤- من قام الليل كتب من أهل الإيمان:
- ٥- من قام الليل كتب من الذاكرين الله كثيراً:
- ٦- من قام الليل كتب من المرحومين:
- ٧- من قام الليل كتب من القانتين المخلصين، ولم يكتب من الغافلين:
- ٨- قيام الليل أفضل الصلوات بعد الصلاة المكتوبة:
- ٩- قيام الليل سبيل للقرب من الله تعالى:
- ١٠- قيام الليل سبيل للفوز بمحبة الله تعالى:
- ١١- قيام الليل شرف للمؤمن:
- ١٢- قيام الليل سبب للثبات على الأمر، والإعانة على الأعمال وصلاح الأحوال:
- ١٣- قيام الليل سبب للنجاة من الفتن ما ظهر منها وما بطن:
- ١٤- من قام الليل أصبح طيب النفس نشيطاً:
- ١٥- من قام الليل أعطاه الله ما يسأل:
- ١٦- من قام الليل بيض الله وجهه، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه:
- ١٧- قيام الليل يغفر الله به الذنوب والمعاصي والزلات:
- ١٨- قيام الليل يكتب الله به الحسنات:
- ١٩- أقوم الليل حتى أنجو من النيران:
- ٢٠- قيام الليل سبيل لدخول الجنة:
- ٢١- قيام الليل رفعة في الدرجات، وسبيل لسكنى غرف الجنة:

لا تجعل أخي الحبيب أذنيك مبولة للشيطان:

- فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: "ذاك رجلٌ بالَ الشيطانُ في أذنيه"^(٢) أو قال: "في أذنيه".
وقوله ﷺ: "نام ليلة حتى أصبح". قال الحافظ-رحمه الله-: "يراد به صلاة الليل أو المكتوبة".

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنيه". (قال الحافظ في الفتح: ٣٥/٣ موقوف صحيح الإسناد)

١- وأذكر هنا العناوين فقط لعدم الإطالة، والأدلة تجدها في رسالة للمؤلف عن فضل قيام الليل ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل" فارجع إليها مشكوراً غير مأمور.
٢- وقد اختلف أهل العلم في بول الشيطان هل هو على الحقيقة أم على المجاز؟ فذهب البعض إلى أنه على الحقيقة. حيث قال القرطبي-رحمه الله-: "لا مانع من ذلك، إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع أن يبول". وكان الحسن-رحمه الله- يقول: "إن بوله والله لتثقل".
وقيل: إن بول الشيطان على المجاز: ومعناه: أن الشيطان استولى عليه، واستخف به حتى اتخذ كالكنيف المعد للبول، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.
وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم فمن وقع البول في أذنه فنقل أذنه، وأفسد حسه.
وقال الطيبي-رحمه الله-: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب للنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه، وخص البول، لأنه أسهل مدخلا في التجاويف، وأسرع نفوذاً في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء". (فتح الباري: ٣٥/٣)

كلمة لمن يترك قيام الليل في رمضان وفي غيره من سائر الأيام:

- اعلم أن النبي ﷺ كان لا يدع قيام الليل، **وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً** ". (رواه أبو داود)
فما حالك أيها الصحيح المعافى؟

وقد كان النبي ﷺ إذا فاته ورده من الليل لانشغاله بأعباء الدعوة والجهاد، قضاءه نهاراً.
فما أخبارك يا من تشكو الفراغ والملل؟

وكان النبي ﷺ إذا سمع الديك يؤذن وثب إلى محرابه وهو سيد العابدين.
فكيف بمحترفي الذنوب والغافلين؟

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بقيام الليل، وقد شهد لهم بأنهم خير القرون، فيقومون.
فكيف بأخر القرون؟ وفيهم المكبلون بالشهوات، الغارقون في الغفلات، ومع هذا ينامون.

الأسباب المعينة على قيام الليل:

اعلم إن قيام الليل عسير على الخلق إلا من وفقه الله عز وجل للقيام والأسباب الميسرة له الظاهرة والباطنة
سبعة.

فأما الظاهرة: فأربعة:

الأول: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم، كما قال بعضهم: لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا
كثيراً.

الثانية: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب، فإن ذلك
أيضاً مجلبة للنوم.

الثالث: أن ينام القيلولة بالنهار للاستعانة بها على قيام الليل.

الرابعة: أن لا يكثر من الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة.
والملوك لا يسمحون للخلوة بهم ومناجاتهم إلا لأهل طاعتهم وودادهم والإخلاص لهم.

قالوا لابن مسعود رضي الله عنه: لا نستطيع قيام الليل؟ فقال: أبعدتكم الذنوب.

وقال رجل للحسن -رحمه الله-: لا أستطيع قيام الليل فصف لي دواء؟ قال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك
بين يديه بالليل.

وقال الثوري -رحمه الله-: " حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته ".

وكان الحسن -رحمه الله- إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول: " أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء ".

فالذنوب تورث قساوة القلب، وتمنع من قيام الليل، وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة! وكم من نظرة منعت قراءة سورة! وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة.

الميسرات الباطنة:

الأول: سلامة القلب عن البدع والحدق على المسلمين، وعن فضول هموم الدنيا، فالمستغرق بهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته، ولا يجول إلا في وساوسه.
الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، فإن العبد إذا تفكر في دركات جهنم وأهوال الآخرة طار نومه.

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: " إن عبد الله إذا ذكرت الجنة طال شوقه، وإذا ذكرت النار طار نومه ".

ومر بنا قول ابن المبارك -رحمه الله-:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل حتى يستحکم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنات.

١٤- يا باغي الخير: لا تترك صلاة التراويح في أول ليلة من ليالي رمضان:

بعد انتهاء شهر شعبان ورؤية هلال رمضان، ومع أول ليلة فيه تجد أن المساجد مهجورة، وكأن هذه الليلة ليست من رمضان، في حين أننا نجد الأسواق معمورة والزحام شديدًا، فتضيع صلاة التراويح ويضيع معها الأجر العظيم. وربما حرم هذا المسكين نفسه أن يكون من عتقاء الله في هذه الليلة.

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجَنِّ، وَعُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ ". (صحيح الجامع: ٧٥٩)

١٥- يا باغي الخير: لا تترك صلاة التراويح بالكلية:

فكما عمرت أخي الحبيب نهارك بالصيام والتسبيح؛ فعليك أن تعمر ليلك بصلاة التراويح، فإن النبي ﷺ رغب في قيام هذا الشهر، فقال ﷺ: " **مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا^(١) عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** ".

(أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ)

إن هذا الشهر العظيم غنيمة لكل مسلم يريد أن يعتق الله رقبته من النار، ولكننا نجد أن أكثر الناس ينشغلون عن صلاة التراويح وقيام الليل بمشاهدة التلفاز، والذهاب إلى المسارح وأماكن الغناء.. ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكل ذلك لأنهم يعتقدون أن شهر رمضان لا يعني إلا الامتناع عن الطعام والشراب بالنهار، ثم الانغماس في المعاصي والملاذات بالمساء.

مع أن النبي ﷺ قال: " **إن الله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة** - يعني في رمضان - **وإن لكل مسلم**

في كل يوم وليلة دعوة مستجابة ". (رواه الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢١٦٩)

فليغتنم المسلم ليل رمضان في طاعة الرحمن ليكون من عتقائه من النيران، ويفوز بالروح والريحان في أعالي الجنان.

١٦- يا باغي الخير: لا تترك صلاة التراويح في جماعة في المسجد:

وإن كان يجوز أن تُصلى صلاة التراويح في البيت، ولكن المستحب أن تُصلى صلاة قيام الليل في رمضان جماعة في المسجد، وهذه سنة سنّها لنا النبي ﷺ وأحياها عمر بن الخطاب ؓ.

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي ذرّ الغفاري ؓ قال: **صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ نَقَلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ لَمْ يَقُمْ فَلَمَّا كَانَتِ الثَّلَاثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ. قَالَ قُلْتُ وَمَا الْفَلَاحُ قَالَ السُّحُورُ ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِقِيَّةِ الشَّهْرِ** ". (صحيح أبي داود: ١٣٧٥)

وثبت في مصنف ابن أبي شيبة من حديث النعمان بن بشير ؓ قال: " **قمنا مع رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلاث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح، قال: وكنا ندعو السحور الفلاح**". (صححه الألباني)

- وقد ثبت نحو هذا من حديث أنس وعائشة وحذيفة - رضي الله عنهم -.

١- قال الخطابي-رحمه الله-: "وقوله ﷺ: "إيمانًا واحتسابًا" أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كراهة له ولا مستتقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب ". اهـ
وقال البغوي-رحمه الله-: "قوله ﷺ: "احتسابًا" أي طلبًا لوجه الله تعالى وثوابه، يقال: فلان محتسب الأخبار يتطلبها ".

وأخرج البخاري تعليقاً ووصله الإمام مالك وغيره بسند صحيح عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: "خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ   لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أُوزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ؛ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ  : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيٍّ وَاحِدٍ، لَكَانَ أُمَّتًا. ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ  ...".

ولذلك قال الإمام أحمد-رحمه الله-: يعجبني أن يُصلي مع الإمام ويوتر معه.

وسئل-رحمه الله-: يؤخر القيام- يعني التراويح- إلى آخر الليل؟ قال: لا. سنة المسلمين أحب إليّ". (يعني يصلي في المسجد مع الإمام أفضل من كونه يصلي بمفرده).

تنبيهان:

١- يستحب لمن صلى التراويح مع الإمام أن لا ينصرف حتى ينصرف الإمام من صلاته:

فقد بين النبي   فضل الصلاة مع الإمام حتى ينصرف فقال: " مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ ". (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وهو في صحيح الجامع: ١٦١٥)

٢- يجوز للنساء صلاة التراويح في المسجد:

للمرأة أن تأتي للمسجد للصلاة في رمضان وفي غيره، وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم ان النبي   قال: " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ".

والمرأة تحتاج أن تتزود بالطاعة خصوصاً في رمضان حيث الجمع الكثير المعين على فعل الخير، وطول القيام خلف إمام متقن؛ لتتدبر القرآن ويخشع قلبها للواحد الديان وتزداد بذلك إيماناً.

ومما يدل على جواز حضور النساء لصلاة التراويح: " أن عمر بن الخطاب   جعل على الرجال في صلاة التراويح أبي بن كعب، وعلى النساء سليمان بن أبي حثمة، وكذلك فعل علي بن أبي طالب   ".

قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: " ولا بأس بحضور النساء صلاه التراويح إذا أمنت الفتنة، بشرط أن يخرجن متحشمتات غير متبرجات بزينة، ولا متطيبات ". اهـ

١٧- يا باغي الخير: إذا تمت إلى الصلاة في الليل فأطل القيام:

قيام الليل من شعار الصالحين ودأب المتقين، ومن صفات عباد الله المخلصين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٦٤)

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَإِلَّا سَحَارِهِمْ يُسْتَغْفِرُونَ﴾ (سورة الذاريات: ١٧، ١٨)

فقيام الليل أفضل الصلوات بعد المكتوبات. فهو أحب الصلاة إلى الله بعد المكتوبة، وهو صلة بين العبد وربّه. وزاد المتقين، وطريق السالكين إلى رب العالمين، وهو غذاء للروح، وجلاء للقلب، وصفاء للنفس، وراحة للبال، وانسراح للصدر، وقوة للبدن، ونور في الوجه، وهو دليل على علو الهمة، وقوة الإيمان. فطوبى للمتهجدين بالليل، أولئك الذين يرثون النور التام يوم القيامة، فقد قاموا في ظلمة الليل يتضرعون إلى ربهم، قلوبهم تحت العرش معلقة، وأجسادهم في الدنيا منتصبه، يقفون بين يدي مولاهم يرجون رحمته ويخافون عذابه. فيوم القيامة يعطيهم الله تعالى ما يرجون، ويؤمنهم مما يخافون. قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَغْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة السجدة: ١٦، ١٧)

وهناك من الناس من يقوم الليل فيكثر عدد الركعات وتقليل القراءة والقيام، وهذا طيب وهو ماجور إن شاء الله، لكن هذا خلاف ما كان عليه النبي ﷺ حيث كان يطيل القيام، وأرشدنا ودلنا على أن هذا هو الأفضل. فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت." (أي طول القيام).

وعند أبي داود عن عبد الله بن حبشي رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟، قال: طول القيام." قال النووي-رحمه الله- في شرح هذا الحديث: "المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت، وفيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله، إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود." اهـ وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ حيث كان يطيل القيام.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً؛ إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده^(١)، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه.

١- وفي رواية زيادة: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد.

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: "إن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "صليت مع رسول الله ﷺ فأطال، حتى هممت بأمر سوء، فقيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه".

قال الحافظ-رحمه الله- في "الفتح: ١٩/٣": "وفي الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود ﷺ قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي ﷺ، وما همَّ بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده". اهـ

وقال الحافظ الدمياطي-رحمه الله- في كتاب "المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح" ص: ٥١: "قال العلماء: "إن الأفضل بالنهار كثرة السجود، وبالليل طول القيام، كما جاء في وصف صلاة رسول الله ﷺ بالليل، وجمعاً بين الأحاديث والله أعلم".

ويقول يزيد الرقاشي-رحمه الله-: بطول التهجد تقرُّ عيونُ العابدين، ويطول الظمُّ تفرحُ عند لقاء رب العالمين. (كتاب التهجد لابن أبي الدنيا ص: ٤٠٧)

وانظر لحال السلف وكيف كان تيامهم:

- يقول السائب بن يزيد-رحمه الله-: "أمر عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ أبايَ بنَ كعبٍ وتميمًا الدَّارِيَّ أن يَقومَا للنَّاسِ إحدى عشرةَ ركعةً، قال: وقد كان القارئُ يقرأُ بالمتَّينِ حتى كُنَّا نَعتمدُ على العَصِيَّ من طولِ القيامِ، وما كُنَّا ننصرفُ إلا في فُروعِ الفجرِ". (أخرجه الإمام مالك والبيهقي والنسائي في "السنن الكبرى")

- وقال ابن عمر-رضي الله عنهما-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾، ذاك هو عثمان ﷺ.

وقد ذكر المفسرون ومنهم ابن كثير، أن ابن عمر-رضي الله عنهما- قصد بذلك كثرة صلاة عثمان بن عفان ﷺ بالليل وقراءته للقرآن، حتى نُقل عنه أنه ربما قرأ القرآن كاملاً في ركعة.

- قال حسان بن عطية-رحمه الله-: "من أطال قيام الليل يهُنُّ عليه طول القيام يوم القيامة".

- قالت بنت لجار منصور بن المعتمر: يا أبت أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية ذاك منصور، كان يقوم الليل. (سير أعلام النبلاء: ٥/٤٠٣)

- كان التابعي الزاهد أبو مسلم الخولاني-رحمه الله- يقوم الليل حتى تتعب قدماه، فكان يضرب ساقيه بالسوط قائلاً: "أنتما أحق بالضرب من دابتي!"، محفزاً نفسه على العبادة، ويقول: "أيحسب أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا؟ والله لنزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالاً".

- وقال عبد الرحمن بن هرمز الأعرج -رحمه الله-: " كان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثمان ركعات، فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة، رأى الناس أنه قد خفف ". (شعب الإيمان للبيهقي)

وقال خالد بن دريك -رحمه الله-: " كان لنا إمام بالبصرة يختم بنا في شهر رمضان في كل ثلاث، فمرض، فأمنّا غيره، فختم بنا في كل أربع ؛ فرأينا أنه قد خفف ". (شعب الإيمان: ١٧٨/٣)

قال عبد الله بن أبي بكر سمعت أبي يقول: " كنا ننصرف في رمضان من القيام فنستعجل الخدم بالطعام مخافة الفجر ". (مختصر قيام رمضان للمروزي ص: ٢٢٣)

فأين قيامنا من قيامهم؟

تَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكَرَامِ فَالَاحُ

فمن تعب من طول القيام فليحدث نفسه ويقول لها: إنما هي أيام قلائل لعيش دائم، فدعيني أتعب قليلاً لعلّي أرتاح كثيراً.

وقد مر بنا قصة هذا الشاب الذي يدعى دينار العيَّار -رحمه الله- كان مسرفاً على نفسه، وكان له أم تعظه فلا يتعظ، فمر في يوم من الأيام بمقبرة وقد خرجت العظام من المقبرة، فتذكر مصيره، وتذكر نهايته، وتذكر أنه على الله قادم، فأخذ عظماً نخرًا في يده ففتته، وقال: " ويحك يا نفس، كأني بك غداً قد صار عظمك رفاتاً، وجسمك تراباً، وما زلت مكبّة على المعاصي واللذائذ والشهوات"، ثم ندم وعزم على التوبة. ورفع رأسه للسماء قائلاً: " إلهي ألقيت إليك مقاليد أمري، فاقبلني واسترني يا أرحم الراحمين"، ثم رجع إلى أمه متغير اللون، منكسر القلب، فكان إذا جنّه الليل أخذ في القيام والبكاء، وأخذ في النحيب وهو يقول: " يا دينار ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار؟"، فجعل يقوم الليل ويصوم النهار، فرفقت به أمه، فقالت: " يا بني ارفق بنفسك قليلاً"، فقال: " يا أماه! دعيني أتعب قليلاً لعلّي أستريح طويلاً، يا أماه إن لي موقفاً بين يديّ الجليل، ولا أدري إلى ظل ظليل، أم إلى شر مقيل؟ قالت: " يا بني أكثرت من تعب نفسك؟"، قال: " يا أماه بل راحتها أريد، بل راحتها أريد ".

وكانت امرأة حبيب توقظه بالليل وتقول: ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا.

يا نائماً بالليل كم ترقد	قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته	وردًا إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله	لم يبلغ المنزل لو يجهد
قل لأولي الألباب أهل التقى	قنطرة العرض لكم موعد

فمن أراد أن يتقرب إلى الله تعالى في هذه الأيام فيتقرب إليه بطول القيام، فقد أخرج الترمذي بسند صحيح من حديث بلال رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد". (صحيح الجامع: ٤٠٧٩)

فكم رأينا من شيخ كبير يأتي لصلاة التراويح وهو يتكى على عكازه، يسحب قدميه فتخط في الأرض خطأ، وكم رأينا من امرأة عجوز محدوبة الظهر، متقاربة الخطأ، تزحف إلى المسجد زحفاً، فرغم الأيدي المرتعشة، والعظام الواهنة، إلا أنهم حريصون على حضور صلاة التراويح، فاللهم تقبل منا ومنهم، واختم لنا ولهم بخاتمة السعادة وارزقنا وإياهم الجنة والزيادة.

فأين أنتم يا أصحاب البنية القوية، والسواعد الفتية، من هؤلاء؟ بل أين نحن من خير الوري، وأفضل من وطأ الثرى صلى الله عليه وسلم؟ كان يقوم الليل حتى تفتطرت قدماه، وهو قد غفرت له خطايا، فمن أراد الفوز بمحبة الله فعليه أن يسير على خطاه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)

ولنعلم جميعاً أن الجمع بين الصيام، والقيام، والإطعام، من أسباب دخول الجنة. فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة غرفاً، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدّها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام^(١)، وصلى بالليل والناس نيام". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٤٦)

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجِنَانِ	فَلْيَدَعْ عَنْهُ التَّوَانِي
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمٍ	إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَانِي
وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ	إِلَى نَوْرِ الْقُرْآنِ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جَوَارُ اللَّهِ	فِي دَارِ الْأَمَانِ

قال بكر بن عبد الله المزني -رحمه الله-: "من مثلك يا ابن آدم؟ خُلي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت على الله ليس بينك وبينه ترجمان". (الزهد للإمام أحمد)

ما أجملها من لحظات، وما أطيبها من نفحات، وما أبركها من ساعات، تلك الساعة التي يُرفع فيها الحجاب بينك أيها العبد الحقير الفقير، وبين الملك العظيم الغني الحميد.

١- وفي رواية: أطاب الكلام، بدلاً من أفشى السلام.

١٨ - يا باغي الخير: لا تفرط في قيام الليل والتراويح، وتنام عن صلاة الفجر:

وهذا خطأ كبير وحال هذا كالذي يبني قصرًا ويهدم مصرًا، وقيام الليل أجره عظيم وثوابه كبير، لكن هذا لا يغني عن صلاة الفجر التي سيسأل عنها يوم القيامة، أضف إلى هذا أنها تعدل في الأجر قيام الليل كله. فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ** ".

وكيف يفرط الإنسان في صلاة، والسنة القبلية لها خير من الدنيا وما فيها، فكيف بالفرض. أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** ".

فالسهر إن ضيع الصلاة المفروضة فلا يجوز وإن كان في قيام الليل. فقد أخرج الإمام مالك في "الموطأ" عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، وأن عمر رضي الله عنه غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمر على الشفاء، أم سليمان. فقال لها: لم أر سليمان في الصبح. فقالت: إنه بات يصلي، فغلبته عيناه. فقال عمر رضي الله عنه: لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة، أحب إلي من أن أقوم ليلة ".

يا الله.. إنه ما سهر في معصية ولكن انظر ما قاله عمر رضي الله عنه لتعلم قدر صلاة الفجر.

١٩ - يا باغي الخير: احرص على كثرة قراءة القرآن وخصوصاً في رمضان:

قال عبد الحميد بن باديس -رحمه الله-: " فوالله الذي لا إله إلا هو! ما رأيت - وأنا ذو النفس المملأ بالذنوب والعيوب - أعظم إلانة للقلب، واستدراراً للدمع، وإحضاراً للخشية، وأبعث على التوبة من تلاوة القرآن، وسمعه ". (تفسير ابن باديس ص: ٣٩)

أخي الحبيب اعلم أن تلاوة القرآن من أعظم أنواع التجارة مع الله.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠)

وقد بين رب العالمين في هذه الآيات أن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهراً، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسَدَ وتفسدَ ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، وبضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحساناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

• وشهر رمضان هو الشهر الذي أنزل الله ﷻ فيه القرآن، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)

قال ابن كثير-رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: "يمدح الله تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء". اهـ (تفسير ابن كثير: ١/٢٦٨)

فرمضان هو شهر القرآن، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أنه قال: "كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة".

قال ابن رجب-رحمه الله-: "دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له؟ وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان".

وهكذا كان حال السلف مع القرآن في رمضان:

فها هو الإمام مالك-رحمه الله- كان إذا دخل عليه رمضان ترك قراءة الحديث، ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن في المصحف.

وكان محمد بن شهاب الزهري-رحمه الله- إذا أقبل رمضان توقف عن التحديث، ويقول: "إنما هو لتلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

وكان سفيان الثوري-رحمه الله-: إذا دخل رمضان يترك جميع العبادات، ويقبل على قراءة القرآن.

(لطائف المعارف: ص: ٢٤٦)

وكان قتادة-رحمه الله- يختم القرآن في كل سبع ليال دائماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخيرة منه في كل ليلة. (سير أعلام النبلاء: ٥/٢٧٦)

وكان الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاطسي-رحمه الله- يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين^(١)، وأكبَّ في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبة لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن.

١- قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-: "وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم". (لطائف المعارف: ص: ٢٤٦)

وكان الشافعي-رحمه الله- يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة يقرأها في غير الصلاة "

(سير أعلام النبلاء: ١٠/٣٦) (لطائف المعارف: ص: ٢٤٦)

وكان الحافظ ابن عساكر-رحمه الله-: " يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة "

وكان البخاري-رحمه الله- يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة.

وكان الأسود-رحمه الله- يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال". (حلية الأولياء: ٢/١٦٣)

وهكذا كان حال السلف مع القرآن في رمضان وفي غيره، أما نحن فقد هجر البعض منا القرآن، فلا وقت لسماعه، ولا قراءته، ولا حفظه، وإذا قرأناه أو سمعناه لم نتدبره ولم نفهمه، وإذا فهمناه أو تدبرناه لم نعمل به ولم نتحاكم إليه، بل اكتفينا أن نقرأه على الأموات، ونزين به الجدران.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار."

(صحيح الجامع: ٤٤٤٣)

ففي هذا الحديث إنذار ووعيد لمن هجر القرآن المجيد وجعله وراءه ظهرياً، وهذا الصنف يشتكيه النبي الأمين صلى الله عليه وسلم لرب العالمين، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

(الفرقان: ٣٠)

يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه كما عند الدارمي: " سيبلى القرآن في صدور أقوام، كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة "

وصدق والله معاذ بن جبل رضي الله عنه، فهناك من يقرأ أو يسمع القرآن فلا يجد له شهوة ولا لذة، ويزداد الأمر خطورة وسوءاً عندما يجد هذا أيضاً في شهر رمضان الذي أنزل الله فيه القرآن، بل هناك من لا يفتح المصحف فيه، وإذا أطال الإمام في الصلاة يضيق صدره، ويصيبه الضجر والقلق، ويقيم الدنيا ولا يقدها، وهذا هو حال البعض منا ولا يخفى على أحد.

وصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قال: " لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم."

قال دكتور عمر المقبل: لو سألت أي مسلم: أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وشفاء، وحياة للقلب؟ لأجابك - وبلا تردد- نعم! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في رمضان! فإنَّ حال هذا في الحقيقة هو كمن يعلن عن استغنائه عن هدى الله، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه، أحد عشر شهراً! "

يقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه "الفوائد ص: ٩٤": " هجر القرآن أنواع: أحدهما: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه، والنوع الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وأحسن به، والنوع الثالث: هجر تحكيمه، والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم، والنوع الرابع: هجر تدبره، وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، والنوع الخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب، وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠) وإن كان بعض الهجر أهون من بعض ". اهـ

فاحذر أخي الحبيب! أن تهجر القرآن في رمضان أو في غيره من سائر شهور العام؟ وعليك أن تكثر من تلاوته في النهار، وتقوم به في الليل، وأخص بهذا الكلام حاملي القرآن.

- وقد أخرج الإمام أحمد والنسائي واللفظ له وابن المبارك في الزهد من حديث السائب بن يزيد ؓ أن شريحًا الحضرمي ذكر عند النبي ﷺ فقال له: "ذاك رجل لا يتوسد القرآن". (صحيح النسائي: ١٧٨٢)

وفي هذا الحديث يُخبر السائب بن يزيد ؓ: "أن شريحًا الحضرمي ذكر عند رسول الله ﷺ، أي: ذكر اسمه الحاضرون في جلسة مع النبي ﷺ، وكان شريح الحضرمي من أفاضل أصحاب النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "ذاك رجل لا يتوسد القرآن"، يعني: لا ينام عليه فيصير له كالوسادة، بل هو يقرؤه ويتهدج به، ولا يهجره، بل ينام معه، فكان القرآن لا يفارقه.

وقال ابن مسعود ؓ: "ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليته إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفتطرون، وبيكائه إذا الناس يضحكون، ويورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون".

فأما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، فإنه ينتصب القرآن خصما له.

فقد أخرج البخاري من حديث سمرة بن جندب ؓ: "أن النبي ﷺ رأى في منامه رجلاً مضطجعاً على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر، أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فإذا ضربته تدهده الحجر، فأنطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا، حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، فسأل عنه فقيل له: "هذا رجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة".

يا من ضيع عمره في غير الطاعة! يا من فرط في شهره وأضاعه؟ يا من بضاعته التسويف والتفريط، وبئست البضاعة. يامن جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟!

قال ابن رجب في "لطائف المعارف ص: ٢٤٩": "هذا عباد الله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي بقيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يسان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع، قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع وتراكت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منه الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة؟ كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". اهـ

فيا أيها الأحبة... عليكم بالقرآن قبل فوات الإمكان، وحافظوا على حدوده من التفريط والعصيان. واعلموا أنه شاهد لكم أو عليكم عند الملك الديان. وليس من شكرِ نعمة الله بإنزاله علينا أن نتخذة وراءنا ظهريا. فإلهمَّ ارزقنا تلاوة القرآن وحفظه على الوجه الذي يرضيك عنا. واهدنا به سبيل السلام، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، واجعله حجةً لنا لا علينا واغفر لنا به الزلات والسيئات، وارفع لنا به الدرجات يا مجيب الدعوات.... آمين

٢٠- يا باغي الخير: إذا قرأت القرآن فاقراه بتدبر:

فتجد أحدهم يقرأ القرآن في رمضان ويكثر من قراءته، والغرض من ذلك هو أن يختم القرآن أكثر من ختمة، وهذا خير كبير وأجره عظيم، ولكن تجد أن البعض يختم أكثر من ختمة ولا يتدبر في آية من آيات المصحف، وهذا خطأ كبير مخالف لقول رب العالمين: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: ٢٩)

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: "قال العلماء: يجب على القارئ إحضار قلبه والتفكير عند قراءته، لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب به عباده، فمن قرأ ولم يتفكر فيه - وهو من أهل أن يدركه بالتذكر والتفكير - كان كمن لم يقرأه ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فإن القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، فإذا ترك التفكير والتدبر فيما يقرأ استوت الآيات كلها عنده، فلم يدع لواحدة منها حقها، فنثبت أن التفكير شرط في القراءة، يتوصل به إلى إدراك أغراضه ومعانيه، وما يحتوي عليه من عجائبه".
(التذكار في أفضل الأذكار ص: ١٩٥)

ويقول الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب "الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٠٦": "وتسن القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنتشر الصدور وتستتير القلوب.... وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب". اهـ

- فعلى الإنسان أن يحدد له وقتاً زمنياً يقرأ فيه ورداً من القرآن، بغض النظر عن الكم الذي يقرؤه، لكن عليه أن يتفكر فيما يقرأ، ولو لم يخرج من هذه الجلسة إلا بجزء بسيط من القرآن لكن قراءة بتفكر وتدبر، فيكون هذا أفضل وأنفع له.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله- في كتابه "إحياء علوم الدين: ٣/ ٥١٦": "فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد وتقبيد المغفرة بالشروط، يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله، واستشعاراً لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله ﷻ، كذكرهم الله ﷻ ولداً وصاحبة بغض صوته، وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالته، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها.

ويقول محمد بن كعب القرظي -رحمه الله-: "مَنْ بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله، ويعمل بمقتضاه".

(إحياء علوم الدين: ١/ ٥١٦)

وذكر الغزالي -رحمه الله- عن بعض العلماء أنه قال: "هذا القرآن رسائل أتت من قبل ربنا ﷻ بعهوده، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعت". (المصدر السابق)

ويقول وهيب بن الورد -رحمه الله-: "نظرنا في هذه الأحاديث فلم نجد شيئاً أرق للقلوب، ولا أشد استجلاباً للحنن، من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره".

فكان السلف يؤكد على أن تدبر القرآن وتفهمه - إلى جانب كونه مطلباً دينياً - فهو وسيلة تربوية ناجحة لشفاء القلوب من قسوتها، والأعين من جمودها.

٢١- يا باغي الخير: إذا قرأت القرآن فاعمل بما جاء فيه:

قال تعالى: ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٦-١٩)

قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨)

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٣)

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٥)

قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَإِنَّمَا بَأْسُنَا بِالتَّائِبِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوكِ﴾ (سورة طه: ١٢٣)

(سورة طه: ١٢٣)

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٨)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ١٨)

وأخرج الإمام أحمد واللفظ له وأبو يعلى من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن^(١). (صحيح الجامع: ٤٨١١)

قال النووي -رحمه الله-: "معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبيره، وحسن تلاوته". (شرح مسلم: ٢٦٨/٣).

وقال ابن رجب -رحمه الله-: "يعني أنه كان يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه". (جامع العلوم والحكم: ١٤٨/١).

قال المناوي -رحمه الله- في "فيض القدير: ١٧٠/٥": "وقول عائشة -رضي الله عنها- "كان خلقه القرآن": أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده إلى غير ذلك".

وقال القاضي -رحمه الله-: "أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن، فإن كل ما استحسنته وأثنت عليه ودعا إليه فقد تحلى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنّبته وتخلّى عنه، فكان القرآن بيان خلقه...". اهـ

وقال في الديباج: "معناه العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأديب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبيره وحسن تلاوته".

١- كان خلقه القرآن: والخلق هو الطبع، وقيل: الدين، والمعنى: كانت أخلاقه منصفةً بالكمال الذي أخبر به القرآن في كل خلق، ويأتمر بما أمره الله تعالى فيه، ويتنهي عما نهى الله عنه قولاً وفعلاً، ووعده ووعيده، إلى غير ذلك؛ فكان خلقه جميع ما حصل في القرآن من كل ما استحسنته وأثنت عليه ودعا إليه، فقد تحلى به، وكل ما استهجنه، ونهى عنه، تجنّبته وتخلّى عنه. (الدرر السنينة)

وأخرج ابن حبان والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "القرآن شافعٌ مشفعٌ، وما حلّ صدقٌ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٢٣)

يقول النبي ﷺ: "القرآن شافعٌ"، أي: لصاحبه وقارئه، "مشفعٌ"، أي: مقبول الشفاعة، "وما حلّ صدقٌ"، أي: شاهدٌ مُصدقٌ عند الله، "من جعله أمامه"؛ بأن نَفَذَ أوامره وانتهى عن نواهيه، "قاده إلى الجنة"؛ بتسهيل الطريق إليها، "ومن جعله خلف ظهره"؛ بأن خالف أمره ونهيه، "ساقه إلى النار"، والمعنى: أن من اتبع القرآن وعمل بما فيه، فسيكون القرآن شافعاً له، مقبول الشفاعة عند الله في العفو عن خطاياها، ومن ترك العمل به صدق عليه القرآن فيما يُرفع إلى الله من ذنوب العبد، ومن شهد عليه القرآن بالتقصير والتضييع فهو في النار.

قال القرطبي -رحمه الله-: "ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحاً، ومن الجرائم فضوحاً؛ كان القرآن حجة عليه، وخصماً لديه، وقد قال ﷺ: القرآن حجة لك أو عليك".

(الجامع الأحكام القرآن: ٢/١)

قال الحسن البصري -رحمه الله-: "أنزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً، يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به".

وكذا قال الفضيل -رحمه الله-: "إنما نزل القرآن ليُعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً، قيل: كيف العمل به؟ قال: "ليحلّوا حلاله، ويحرّموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه".

(اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي)

ويقول ابن الجوزي -رحمه الله- عندما تكلم في كتابه "تلبيس إبليس" عند ذكر تلبيسه على القراء فقال: "فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها، فيفني أكثر عمره في جمعها، وتصنيفها، والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، وربما رأيت إمام مسجد يتصدى للإقراء، ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حب التصدّر حتى لا يرى بعين الجهل، على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن، وتقويم ألفاظه، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس، ويُطهر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم".

وقال نصر بن يحيى بن أبي كثير -رحمه الله-: "إذا التبست عليك الطرق واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى القرآن الذي لا حيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتك، وتقوى بعد ضعفك". (العزلة لابن أبي الدنيا ص: ٨٠)

• وكان السلف أحرص الناس على تطبيق ما تعلموه في القرآن:

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً". (أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير)

٢٢- يا باغي الخير: عليك بالدعاء عند ختم القرآن الكريم^(١):

لم يثبت في مطلق الدعاء لختم القرآن شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، لكنه صح من فعل أنس بن مالك ؓ، وتبعه عليه جماعة من التابعين.

فقد أخرج ابن المبارك في "الزهد" وابن أبي شيبة في "مصنفه" والدارمي في "سننه" عن ثابت البناني وقتادة وابن عطية وغيرهم: "أن أنس بن مالك ؓ كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده، فدعا لهم".

وقال الحكم بن عتيبة-رحمه الله-: كان مجاهد، وعبد بن أبي لبابة، وناسٌ؛ يعرضون المصاحف، فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختموا أرسلوا إليّ، وإلى سلمة بن كهيل، فقالوا: إنا كنا نعرض المصاحف، فأردنا أن نختم اليوم، فأحببنا أن تشهدونا، فإنه كان يقال: "إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته، أو حضرت الرحمة عند خاتمته". (رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" والدارمي وغيرهما، وأشار النووي وابن حجر إلى صحة إسناده موقوفاً)

وقال مجاهد بن جبر-رحمه الله-: "الرحمة تنزل عند ختم القرآن". (رواه ابن أبي شيبة)

وقال ابن القيم-رحمه الله-: "وقد نص الإمام أحمد-رحمه الله- على الدعاء عقيب الختم، فقال في رواية أبي الحارث: "كان أنس ؓ إذا ختم القرآن جمع أهله وولده". وقال في رواية يوسف بن موسى، وقد سئل عن الرجل يختم القرآن فيجتمع إليه قوم فيدعون، قال: "نعم، رأيت معمرًا يفعل إذا ختم". وقال في رواية حرب: أستحب إذا ختم الرجل القرآن أن يجمع أهله ويدعو". اهـ (جلاء الأفهام ص: ٢٨٨).

وقال ابن قدامة-رحمه الله- كما في المعنى مع الشرح الكبير: ١/٣٠٨ فصل: ويستحب أن يجمع أهله عند ختم القرآن وغيرهم لحضور الدعاء، قال أحمد: كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده، روي ذلك عن ابن مسعود وغيره". (انظر جلاء الأفهام لابن القيم ص: ٢٧٩) (الإنياف للمرداوي: ٢/ ١٨٥)

وقال صالح بن أحمد بن حنبل-رحمه الله-: "كان أبي يختم من جمعة إلى جمعة، فإذا ختم يدعو وتوَمَّن". (سير أعلام النبلاء: ١١/ ٢٧٦) (مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص: ٤٥١)

١- استحب الدعاء عقب ختم القرآن متأخري الحنفية: (انظر فتاوى قاضي خان) (منهاج السنّة النبوية لابن تيمية: ٢/ ١٢٩). (شرح العل لابن رجب ص ٢٠٥) (النكت لابن حجر: ٢/ ٨٤٥)، واستحبه متأخري المالكية: (انظر التذكار للقرطبي ص: ٨٠)، واستحبه متأخري الشافعية: (انظر النّبيان ص: ١٢٦) (الأذكار للنووي: ٢/ ٢٤٢) (حاشية الباجوري: ١/ ١٢٢)، أما دعاء ختم القرآن في الصلاة فلم يقل به سوى النووي-رحمه الله- واستحبه للمنفرد؛ إذ قال في كتابه الأذكار ص: ١٢٤: "ويستحب - للقارئ وحده - أن يكون في الصلاة، وأنه قيل: يستحب أن يكون في ركعتي الفجر، وركعتي سنة المغرب، وفي ركعتي سنة الفجر أفضل". (من كتيب مرويات دعاء ختم القرآن للشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد)

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: عن يقرأ القرآن العظيم، أو شيئاً منه، هل الأفضل أن يهدي ثوابه لوالديه، ولموتى المسلمين، أو يجعل ثوابه لنفسه خاصة؟

فأجاب -رحمه الله-: أفضل العبادات ما وافق هدي رسول الله ﷺ وهدى الصحابة، كما صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته: "خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة". وقال ﷺ: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم". وقال ابن مسعود ﷺ: "من كان منكم مستنّاً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد". فإذا عرف هذا الأصل، فالأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضلة، أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة؛ فرضها، ونفلها، من الصلاة، والصيام، والقراءة، والذكر، وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات، كما أمر الله بذلك لأحيائهم، وأمواتهم في صلاتهم على الجنازة، وعند زيارة القبور، وغير ذلك. وروي عن طائفة من السلف: "عند كل ختمة دعوة مستجابة"، فإذا دعا الرجل عقيب الختمة لنفسه، ولوالديه، ولمشايقه، وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات؛ كان هذا من جنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل، وغير ذلك من مواطن الإجابة". اهـ

(مجموع الفتاوى: ٢٤ / ٣٢١ - وعنه مختصراً في: حاشية الروض المربع: ٢ / ٢٠٧. ونحوه مختصراً في: الاختيارات ص: ١٧١)

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "فصل: المواطن السابع عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ: عقيب ختم القرآن. وهذا لأن المحل محل دعاء، وقد نص الإمام أحمد: فذكر روايات أبي الحارث، ويوسف، وحرب، وحنبلى، والفضل، وقول عباس بن عبد العظيم، وأثر مجاهد، وحديث ابن مسعود، وأثر ابن عباس، وقد تقدمت جميعها، ثم قال: وإذا كان هذا من أكد مواطن الدعاء وأحقها بالإجابة فهو من أكد مواطن الصلاة على النبي ﷺ". اهـ (جلاء الأفهام ص: ٢٧٨).

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- في "كتاب لفتة الكبد ص: ٧": "فإني لما رُزقت شرف النكاح، وطلب الأولاد، ختمت ختمة".

قال الألباني -رحمه الله- معلقاً على قول ابن الجوزي: "ختمت ختمة": "يشير بذلك إلى أن الدعاء بعد ختم القرآن ترجى استجابته، وقد جاء في ذلك آثار كثيرة عن السلف الصالح، منها ما رواه ثابت البناني عن أنس ﷺ... فذكره. أخرجه الدارمي بسند صحيح". اهـ

وفي شرح السفاريني -رحمه الله- لمنظومة الآداب: ٢ / ٥١٣: "ذكر الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، وعد نحواً من ثلاثين وقتاً: منها: شهر رمضان، وعقب تلاوة القرآن؛ لا سيما الختم". اهـ.

والخلاصة: أن دعاء القارئ عند ختم القرآن خارج الصلاة، وحضور الدعاء عند ذلك أمر مأثور عن السلف الصالح كما تقدم من فعل أنس ﷺ وجماعة من التابعين، والإمام أحمد، ولأنه من جنس الدعاء المشروع، وتقدم قول ابن القيم: أنه من أكد مواطن الدعاء وأحقها بالإجابة.

٢٢- يا باغي الخير: احرص على عمرة في رمضان:

العمرة عموماً طوال العام مستحبة، ولها فضل كبير وأجر عظيم:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما..."

قال النووي-رحمه الله- في "شرح على مسلم: ١١٧/٩": "هذا ظاهر في فضيلة العمرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين". اهـ
ولذلك يستحب الإكثار من العمرة:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٠٥) (صحيح الجامع: ٢٩٠١)

- وفي رواية عند الطبراني في الأوسط من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد". (الصحيحة: ١٠٨٥) (صحيح الجامع: ٢٥٣)
قال المباركفوري-رحمه الله- في "تحفة الأحوذني: ٤٥٤/٣": "فإنهما ينفيان الفقر: أي يزيلانه، وهو يحتمل الفقر الظاهر بحصول غنى اليد، والفقر الباطن بحصول غنى القلب". اهـ

• الأجر في العمرة والحج يكون بقدر التعب والإنفاق.

- فقد أخرج الحاكم في المستدرک من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال لها في عمرتها: "إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك". (صحيح الجامع: ٢١٦٠)

- وفي رواية: "إنما أجرك في عمرتك على قدر نفقتك". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٦)

لكن العمرة في رمضان يتعاضم فضلها حيث تعدل في الأجر؛ أجر حجة مع النبي ﷺ:

- فقد أخرج البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عمرة في رمضان تعدل حجة".

- وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: "ما منعك أن تكوني حججت معنا؟" قالت: ناضحان^(١) كانا لأبي فلان زوجهما - حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا (أرضنا لنا)، فقال النبي ﷺ: "إن عمرة في رمضان تقضي حجة". أو قال: "حجة معي".

- وفي لفظ مسلم: "فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة".

١- ناضحان: والناضح هو البعير أو الثور أو الحمار الذي يستسقى عليه، لكن المراد به في هذا الحديث هو البعير، لتصريحه في رواية أبي داود بكونه جملاً. (فتح الباري: ٣/٦٠٤)

فالنبي ﷺ أعلم أم سنان أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض، وهذا الحديث فضل من الله ونعمة على عبده المؤمن، وفيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب، وبخلوص القصد".
(انظر فتح الباري لابن حجر: ٦٠٤/٣) (شرح مسلم للنووي: ١٢٢/٩)

- وفي رواية عند سمويه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **عمرة في رمضان كحجة معي**."

(صحيح الجامع: ٤٠٩٨)

- وأخرج ابن حبان من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: **جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: حج أبو طلحة وابنه وتركاني، فقال: "يا أم سليم عمرة في رمضان تعدل حجة معي"**.

(صحيح الترغيب: ١١١٨)

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث أم معقل -رضي الله عنها-: **أنها قالت: يا رسول الله! إني امرأة قد كبرت وسقمت فهل من عمل يجزي عني من حجتي؟ قال: "عمرة في رمضان تعدل حجة"**.

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٢٠) (صحيح أبي داود: ١٧٥١)

- وفي رواية عند أبي داود أيضًا عن أم معقل -رضي الله عنها- قالت: **"لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان لنا جمل فجعله أبو معقل في سبيل الله فأصابنا مرض، وهلك أبو معقل وخرج رسول الله ﷺ فلما فرغ جنته، فقال: "ما منعك أن تخرجي معنا؟ فقالت: لقد تهيأنا فهلك أبو معقل وكان لنا جمل هو الذي يحج عليه فأوصى به أبو معقل في سبيل الله، قال: "فهلأ خرجت عليه فإن الحج في سبيل الله، فأما إذا فاتتك هذه الحجة معنا، فاعتمري في رمضان فإنها كحجة"**.

(صحيح أبي داود: ١٧٥٢)

وقال المناوي -رحمه الله- في فيض القدير: ٣٦١/٤: **وقول النبي ﷺ: "عمرة في رمضان تعدل حجة"** أي تقابلها وتمثلها في الثواب، لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض بالإجماع". اهـ

وقال ابن العربي -رحمه الله- وهو من أئمة المالكية: **في الحديث السابق: وفي هذا فضل من الله ونعمة، فقد نزلت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها**". اهـ بتصريف

واعلم أخي الحبيب... إن هذه المنح والعطايا والعبادات رزق يرزقه الله لمن يشاء من عباده، وهم الذين طهرت قلوبهم على الإيمان بالله، واستقامت أبدانهم على متابعة رسول الله ﷺ وأحبوا طاعة الله فأكرمهم الله

تعالى بفضله. وهناك صنف من الناس أهانهم الله بعدله: **﴿وَمَنْ يَنْهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾** (الحج: ١٨)

فأحذر نفسي وإياكم أن تكون من هذا الصنف.

٢٤- يا باغي الخير: احرص على الإخلاص في الصيام وفي غيره من الأعمال:

مما لا شك فيه أن الله خلقنا لعبادته فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)

ثم أمرنا بعد ذلك بالإخلاص في هذه العبادة فقال عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة: ٥)

فالإخلاص شرط لقبول الأعمال والأقوال والأحوال:

قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: وقوله تعالى: "أَحْسَنُ عَمَلًا" هو: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي:

ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠). اهـ

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ = المتابعة، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ = الإخلاص.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: ١٤/٣: "وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون

خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ". اهـ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

(النساء: ١٢٥)

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول الله ﷺ وسنته.

(مدارج السالكين لابن القيم: ٩٠/٢)

فبالإخلاص تتحقق صحة الباطن، وبموافقة السنة تتحقق صحة الظاهر، وخلاف ذلك مردود على صاحبه،

كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣)

وهي الأعمال التي أريد بها غير وجه الله، أو التي كانت على غير السنة.

- وأخرج أبو داود والنسائي بسند حسن من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ: أن رجلاً جاء الي رسول الله

ﷺ فقال: رأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: "لا شيء له"، فأعادها ثلاث

مرات، ويقول الرسول ﷺ: "لا شيء له"، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتغي به

وجهه". (الصحيحة: ٥٢) (صحيح الترغيب والترهيب: ٨)

- أخرج الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما ابتغي به

وجه الله". (صحيح الترغيب والترهيب: ٩)

اعلم أخي الحبيب- وفقنا الله وإياك- أن الشرط في قبول جميع أنواع الطاعات والفوز بأجرها وثوابها هو

الإخلاص، وكل عمل لا يصدر عن إخلاص فهو إلى ضياع.

قال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه الفوائد: "الإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيبُ الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمره التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك، والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب، ثمرها في الدنيا الخوف، والهَم، والغم، وضيق الصدر، وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم. وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم: ٢٤، ٢٥) فالذين لم يخلصوا في أعمالهم؛ في قلوبهم وجل واضطراب، وفي نفوسهم حيرة وارتياب، فلا خلاص إلا بالإخلاص؛ فهو روح الأعمال، ومحرك الجوارح، ومقوي العزائم، وله ثمرات عظيمة في تيسير الأمور، وتذليل الصعاب، وإزاحة العقبات في كثير من الأزمان، وبالإخلاص تطمئن القلوب، وتهدأ النفوس، ويرتاح خاطر، لعلم العبد أن الله تعالى مطلع عليه، وهو الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ". اهـ

فعلى المسلم أن يبتغي بصومه ثواب الله ومرضاته والدار الآخرة، ولا يكون غرضه من الصيام سمعة أو ذكراً أو عرضاً من أعراض الدنيا. وهذا شرط لصحة الصوم لا يقبل بدونه، فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب.

يقول وهيب بن الورد-رحمه الله-: " لا يكون همُّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همُّه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه ".

ولذلك تجد أن النبي ﷺ يؤكد على أهمية الإخلاص في الصيام فيقول: " من صام رمضان إيماناً^(١) واحتساباً^(٢)، غفر له ما تقدم من ذنبه ". (متفق عليه).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله ﷻ: كل عمل ابن آدم له^(٣) إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به... ".

- وفي رواية لمسلم: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ لَهُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي... ".

قال ابن عبد البر-رحمه الله-: كفى بقوله: " إلا الصيام فإنه لي " فضلاً للصيام على سائر العبادات.

١- إيماناً: أي صام رمضان تصديقاً بما جاء في ذلك من نصوص الكتاب والسنة في فرضيته وفضله. قال أبو حاتم بن حبان: "إيماناً": أي: إيماناً بفرضه.
٢- احتساباً: أي من صام رمضان طلباً لثواب الله تعالى ورغبة في الأجر، واحتساباً على الله، مخلصاً لله في ثوابه (انظر شرح النووي على مسلم: ٢٨٦/٥) وقال أبو حاتم بن حبان: و"احتساباً" أي مخلصاً فيه، وقال البيهقي " احتساباً " أي طلباً لوجه الله وثوابه.
وقال الخطابي- رحمه الله- وقوله "إيماناً واحتساباً" أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه غير كاره له، ولا مستثقل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب. اهـ
٣- كل عمل ابن آدم له: أي له أجر محدد إلا الصوم فأجره بدون حساب، ويشهد لهذا المعنى رواية مسلم "كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم.."

وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: **"الصيام لي وأنا أجزي به"** على أقوال: ذكرها الإمام النووي - رحمه الله - في "شرح مسلم: ٢٩/١"، ومن هذه الأقوال:

أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى بهذه العبادة (الصيام)، فلم يعظم الكفار في عصر من العصور معبوداً لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه ويتقربون إليه بالصلاة، والسجود، والصدقة، والذكر، والخوف والرجاء.. وغير ذلك.

وقيل: لأن الصوم بعيد عن الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة، والحج، والغزو، والصدقة... وغيرها من العبادات الظاهرة. فالصوم لا يظهر من ابن آدم في قول ولا عمل وإنما هو نية ينطوي عليها صاحبها ولا يعلمها إلا الله، وليست مما تظهر فتكتبها الحفظة كما تكتب الذكر والصلاة والصدقة والحج وسائر الأعمال. - **وقيل:** لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ. (قاله الخطابي - رحمه الله -). وقيل غير ذلك.

وذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في "الفتح: ٤١٢/١" هذه الأسباب وزاد عليها، ثم رجح بعض الأجوبة على غيرها، فرجح القول: بأن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، والقول بانفراد الله بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وقد ذهب إلى ما رجحه ابن حجر صاحب "تحفة الأحوزي".

وقال القرطبي - رحمه الله -: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطَّع عليه بمجرد فعله إلا الله، فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث: **"يدع شهوته من أجلي"**. اهـ.

صور من الإخلاص في الصوم:

زين القراء محمد بن واسع - رحمه الله -: قال عنه محمد بن بهرام: كان محمد بن واسع يصوم الدهر يخفي ذلك ". (تهذيب الحلية: ٣٥١/٢)

عمرو بن قيس الملائي - رحمه الله -: أقام عشرين سنة صائماً، ما يعلم به أهله، يأخذ غدائه ويغدو إلى الحانوت - الدكان - فيتصدق بغدائه، ويصوم وأهله لا يدرون، وكان إذا حضرته الرقة، يُحول وجهه إلى الحائط، ويقول لجلسائه: ما أشد الزكام "..... حتى لا يرى أحد دموعه. (صفوة الصفوة: ١٢٤/٣)

وسئل معروف الكرخي - رحمه الله - كيف تصوم؟ فغالط السائل، وقال: صوم نبينا ﷺ كذا وكذا، وصوم داود كذا وكذا، فألح عليه السائل، فقال: أصبح دهري صائماً، فمن دعاني أكلت ولم أقل إني صائم. (سير أعلام النبلاء: ٣٤١ / ٩)

وها هو داود بن أبي هند - رحمه الله -: صام أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خزازاً، يحمل معه غدائه من عندهم، فيتصدق في الطريق، ويرجع عشياً فيفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق ". (صفة الصفوة: ٣٠٠/٣)

٢٥- يا باغي الخير: لا تنس تبييت النية من الليل في صيام الفرض:

ففي صيام الفرض يجب تبييت النية من الليل. (ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر) ومن لم يبيت النية من الليل فهذا يقدر في صحة الصوم.

وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث حفصة-رضي الله عنها- أن النبي ﷺ

قال: " **مَنْ لَمْ يَجْمَعْ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ** ". (صحيح الجامع: ٦٥٣٨)

- وفي رواية أخرى: " **لَا صَوْمَ لِمَنْ لَمْ يَبِيَّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ** ". (رواه أبو داود والترمذي)

- وعند النسائي بلفظ: " **مَنْ لَمْ يَبِيَّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ** ". (صحيح الجامع: ٦٥٣٥)

- وفي رواية أخرى عند الدارقطني والبيهقي من حديث عائشة-رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال:

" **مَنْ لَمْ يَبِيَّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ** ". (صحيح الجامع: ٦٥٣٤)

ملاحظات وتنبهات:

- ١- الحديث السابق أعل بالوقف: والذي يظهر أنه مما لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.
- ٢- تتحقق تبييت النية لمن عمد في وقت الليل وتناول الطعام والشراب (السحور) من أجل الصيام من الغد.

٣- يشترط تجديد النية لكل يوم: وهذا قول الجمهور: أبي حنيفة، والشافعي، ورواية عن أحمد؛ وذلك لحديث حفصة المتقدم؛ ولأن كل يوم عبادة مستقلة لا يرتبط بعضها ببعض، ولا يفسد بفساد بعضه، بينما نهب الإمام مالك وزفر، ورواية عن أحمد: إلى أنه تكفي نية واحدة عن الشهر كله في أوله، لكن القول الأول - وهو قول الجمهور - أرجح.

٤- مَنْ نَامَ قَبْلَ رُؤْيَةِ الْهَلَالِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ غَدًا مِنْ رَمَضَانَ، فَأَنَا صَائِمٌ، فَهَذَا صِيَامُهُ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ تَرَدُّدًا فِي نِيَّةِ الصِّيَامِ، إِنَّمَا هُوَ التَّرَدُّدُ فِي ثُبُوتِ الشَّهْرِ، وَهَذَا لَا يُوَثِّرُ فِي صِحَّةِ الصَّوْمِ، وَهَذَا مَا رَجَّحَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

٥- اختلف أهل العلم في تبييت النية في صيام التطوع:

- فذهب فريق من أهل العلم إلى أنه لا يشترط تبييت النية في صيام التطوع:

وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: " **دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ**

يَوْمٍ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِنِّي إِذْنٌ صَائِمٌ ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- كما في "شرح العمدة: ١/ ١١٦": "وهذا يدل على أنه أنشأ الصوم في النهار؛ لأنه قال: " **فإني صائم** ". وهذه الفاء تفيد السبب والعلّة، فيصير المعنى: إني صائم؛ لأنه لا شيء عندكم، وقوله: " **فإني إذن صائم** "، و" **إذن** " أصرح في التعليل من الفاء ". اهـ

وهذا ما فهمه الصحابة من فعل النبي ﷺ، فقد ثبت إنشاء نية صوم التطوع من النهار عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، فقد جاء في "شرح معاني الآثار" للطحاوي بسند صحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: "أنه كان يصبح حتى يظهر، ثم يقول: والله لقد أصبحت وما أريد الصوم، وما أكلت من طعام ولا شراب منذ اليوم، ولأصومنَّ يومي هذا".

وثبت هذا أيضاً عن أبي الدرداء ؓ، فقد أخرج البخاري معلقاً بصيغة الجزم ووصله عبد الرزاق في "مصنفه" عن أم الدرداء - رضي الله عنها - قالت: "إن أبا الدرداء ؓ كان يجيء بعدما يُصبح، فيقول: أعندكم غداء؟ فإن لم يجده، قال: فأنا إذا صائم".

هذا أيضاً عن ابن مسعود، وأبي أيوب، وحذيفة، وأبي طلحة - رضي الله عنهم -.

• وذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يشترط تبييت النية في صيام النفل:

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: "الحديث فيه دليل على وجوب تبييت النية، وإيقاعها في جزء من أجزاء الليل، وقد ذهب إلى ذلك ابن عمر وجابر - رضي الله عنهم - من الصحابة، ومالك والليث وابن أبي ذئب ولم يفرقوا بين الفرض والنفل". اهـ بتصرف (نيل الأوطار: ٧/ ٣٠).

وقال ابن حزم - رحمه الله -: "مسألة: ولا يجزئ صوم التطوع إلا بنية من الليل، لأن النص ورد بأن لا صوم لمن لم يبيته من الليل كما قدمنا، ولم يخص النص، وهو قول مالك، وأبي سليمان وغيرهما". اهـ بتصرف (المحلى: ٤/ ٥١)

وقال الصنعاني - رحمه الله -: "والحاصل أن الأصل عموم حديث التبييت وعدم الفرق بين الفرض والنفل والقضاء والنذر، ولم يفهم ما يرفع هذين الأصلين فتعين البقاء عليهما". (سبل السلام: ٣/ ٣٠٨)

• وذهب بعض أهل العلم إلى تبييت النية في صيام النفل يكون في الصيام المعين فقط.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: "إنه لا بد من تبييت النية من الليل في الصيام المعين، كالتست من شوال، ويوم عرفة، ويوم العاشر من شهر الله المحرم، وغير ذلك من الصيام المعين؛ لأنه إذا صام من نصف النهار لا يصدق عليه أنه صام اليوم كله^(١)، فالنبي ﷺ رتب الأجر على صيام الأيام الستة كلها. وأيضاً لما ذكره جمع من العلماء بأن الأجر إنما يكون من حين النية، وحينئذ إذا كانت بداية الصوم ليست من أول اليوم - يعني من طلوع الفجر فسيكون أجره ناقصاً، فلا ينال الأجر المرتب على صيام هذه الستة. وعلى هذا إذا بدأ الصائم صومه من النهار فلا يصح صيامه على أنه نفل معين، وإنما يكون نفلاً مطلقاً، يعني له أجر صيام النفل المطلق، والله تعالى أعلم. (الشرح الممتع ٦/ ٣٧٢)، (فتاوى الصيام ص: ١٨٥)

١ - قال العلامة ابن باز - رحمه الله -: "الست من شوال: لا يحصل له الفضل حتى يبدأ النية من الأول (أول اليوم)". (الحلل الإبريزية: ٢/ ١٣٥)

٢٦- يا باغي الخير: لا تترك الدعاء في وقت السحر:

الناس في شهر رمضان في صيام وقيام، وغالب أحوالهم أنهم يسهرون ويدركون وقت السحر، ومع ذلك لا يستغلون هذه الفرصة العظيمة وقت نزول الملك سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل، فيقول: "أنا الملك. أنا الملك. من الذي يدعوني فأستجيب له، من الذي يسألني فأعطيه، من الذي يستغفري فأغفر له". - وفي لفظ مسلم: "حتى ينفجر الفجر".

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة".

٢٧- يا باغي الخير: لا تهمل أهل بيتك:

عند دخول شهر رمضان ترى بعض الناس ينشغلون فيه بالقيام، والصيام، والصدقة، والاعتكاف، والعمرة، وغير ذلك من أعمال الخير والقربات، لكن في نفس الوقت تراهم يهملون أهلهم وذويهم فلا توجيه ولا متابعة ولا نصح، مما ينتج عن ذلك مفاسد عظيمة، فالإنسان لا يبحث عن نجاة نفسه فقط ويترك من هو مسئول عنهم، فلا نجاة له إلا بنجاتهم.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحریم: ٦)

ومعنى تفسير الآية: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَإِلِمَامٌ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.**

وقوله ﷺ: **"كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"**، والرعي: هو حفظ الشيء وحسن التعهّد له، والراعي: هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه، فكل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومُتعلقاته، فإن وقى ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر والجزاء الأكبر، وإن كان غير ذلك طالبه كل أحد من رعيته بحقه، والله عز وجل سائله عن تلك الرعية إن فرط في حقوقها.

وقد جاء في سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت". (ضعيف)

وفي صحيح مسلم: "وأن لزوجك عليك حقاً". وفي رواية: "وإن لولدك عليك حقاً".

وقد صح عن النبي ﷺ أنه طرقت فاطمة وعلياً -رضي الله عنهما- ليلة، فقال: "ألا تصليان؟". (متفق عليه)

وكان عمر ﷺ يصلي من بالليل ما شاء الله حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ثم يقول:

الصلاة... الصلاة وبتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾

(طه: ١٣٢)

وكان عبد الواحد بن يزيد يوقظ أهله كل ليلة ويقول: يا أهل الدار! انتبهوا فما هذه دار نوم، عن قريب يأكلكم الدود؟.

وكانت امرأة حبيب أبي محمد توقظه بالليل وتقول: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت أمامنا ونحن قد بقينا".

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد من حديث أبي

هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ

نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ

الماء". (صحيح أبي داود: ١٤٥٠)

وكم من والد أشقى ولده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تاديبه وإعانتته على شهوته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتقاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، فإذا رأيت الفساد في الأولاد فلتعلم أنه في الغالب من قبل الآباء.

وانظر إلى حال السلف وكيف كانوا لا يهملون أولادهم، ويدربوهم على فعل الخير.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء -رضي الله عنها- قالت: أُرْسِلَ النَّبِيُّ ﷺ

عِدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ: مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلَيْتِمَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ. قَالَتْ:

فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ، أَعْطَيْنَاهُ

ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ.

وحين نقارن حالنا بحال الصحابة الكرام نجد اليون شاسعاً، حيث نجد أن البعض في هذا الزمان يمنع أولاده

من الصيام والقيام وبعض أعمال البر - مع رغبة الولد فيه - مخافة أن يصاب الولد بالإرهاق والتعب.

٢٨- يا باغي الخير: عليك بتشجيع الأولاد الصغار على الصيام:

تساهل بعض الآباء مع أبنائهم في مسألة الصيام، فلا يأمرهم به، بل ربما وجدوا الصبي يصوم متحمساً وهو يطيق، فيأمره أبوه أو أمه بالإفطار شفقة عليه بزعمهم، فيجلب له الطعام والشراب. فأين هؤلاء من صحابة النبي ﷺ؟! حيث كانوا يتعاهدون الصبيان بالصيام ويشجعونهم عليه.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث الربيع بنت معوذ-رضي الله عنها- قالت: "كنا نَصُومُ صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن^(١)، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار".

قال ابن حجر-رحمه الله- كما في "فتح الباري": "وفي الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام؛ لأن من كان في مثل السن الذي ذكر في هذا الحديث فهو غير مكف، إنما صنع لهم ذلك للتربية"

فلابد أن نتعاهد الأولاد في الصغر بالصيام والصلاة؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)، وقال النبي ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيتيه". (رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-)

ونكر بعض أهل العلم كما في "المغني": "أن الصبي يؤمر بالصيام لسبع إن أطاقه، ويضرب على تركه لعشر كالصلاة، وأجر الصيام للصبي، ولوالديه أجر التربية والدلالة على الخير".

ولنبداً مع الأطفال بالتدرج لغرس حب هذه العبادة في قلوبهم، وحتى لا يحدث لهم صدود وكرهية لهذه العبادة، فنصوم الصغير الذي لا يطيق إلى صلاة الظهر، وغيره ممن يشق عليه إلى العصر، وهكذا حتى يتم الولد صيام اليوم كاملاً.

٢٩- يا باغي الخير: لا يفوتك ثلاثون حجة وعمرة في رمضان:

فقد أخبر الحبيب النبي ﷺ أن من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كتب له أجر حجة وعمرة تامة تامة.

فقد أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة، وعمرة، تامة، تامة، تامة".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٤٦٤) (صحيح الجامع: ٦٣٤٦) (الصحيحة: ٣٤٠٣)

- وأخرج الطبراني في الكبير عن عبد الله بن غابر أن أبا أمامة وعتبة بن عبد الله -رضي الله عنهما-

حدثاه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من صلى الصبح في جماعة، ثم ثبت حتى يسبح لله سبحة الضحى،

كان له كأجر حاج ومعتمر تاماً له حجة وعمرة". (صحيح الترغيب والترهيب: ٤٦٩)

٣٠- يا باغي الخير: استعن بالله تعالى واحرص على ما ينفعك:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان** ".

وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن " **المؤمن القوي** " يعني في إيمانه، وليس المراد بها قوة البدن، " **خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف** " وهو الذي في إيمانه ضعف، " **وفي كل خير** " أي: في كل واحد من القوي والضعيف خير؛ لاشتراكهما في الإيمان، والقوة المحمودة تحتل وجوهاً عديدة؛ فمنها القوة في الطاعة؛ فيكون المؤمن أكثر عملاً، وأطول قياماً، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. ومنها القوة في عزيمة النفس؛ فيكون أقدم على العدو في الجهاد وأشد عزيمة في تغيير المنكر والصبر على إيذاء العدو واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله. ومنها القوة بالمال والغنى؛ فيكون أكثر نفقة في الخير وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها، وغير ذلك من وجوه القوة، وإنما يذم منها التي تأتي بالتكبر والتجبر، والضعف الذي فيه خير هو الذي يكون من لين الجانب والانكسار لله عز وجل، ويذم منه ضعف العزيمة في القيام بحق الله عز وجل.

ويوصي النبي ﷺ المسلم بقوله: " **احرص على ما ينفعك** " يعني: بالأخذ بالأسباب، ومع الأخذ بالأسباب اعتمد على مسبب الأسباب، وهو الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال بعد ذلك: " **واستعن بالله** "؛ لأن الإنسان إذا أخذ بالأسباب ولم يحصل له عون وتوفيق من الله تعالى، فلن يحصل ما يريد، فمجرد الأخذ بالأسباب لا يكفي، بل يحتاج إلى شيء وراءه، وهو توفيق الله وإعانتة على حصول ذلك الشيء؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، والمراد بالأعمال النافعة: ما يعود على الإنسان بخيري الدنيا والآخرة من العبادات والأعمال الصالحة ونحو ذلك.

ثم ينهي النبي ﷺ عن العجز، والمراد به هنا: الكسل، وهو ضد النشاط، وهو التناؤل عما لا ينبغي التناؤل عنه، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع وجود القدرة عليه؛ ولذلك كان النبي ﷺ يستعيد بالله منه. فمن عمل بتلك الوصية وقام بها على وجهها الأكمل، ثم أصابته بعد ذلك مصيبة، فلا يقل: " **لو أني فعلت كان كذا وكذا** "؛ فإن هذا القول غير سديد، ولكن يقول مستسليماً وراضياً، ومؤملاً للخير: " **قدر الله** "، أي: وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره، " **وما شاء فعل** "؛ فإنه فعلاً لما يريد، ولا راداً لقضائه، ولا معقباً لحكمه. وبعد أن نهي النبي ﷺ عن قول كلمة الشرط " **لو** " في مثل هذا الموضع، نبه على أنها تفتح عمل الشيطان من منازعة القدر، والتأسف على ما فات؛ لأن فيها الاعتراض على القدر، والتحسر من وقوعه، كأن يقول الإنسان حين تنزل به مصيبة: لو فعل كذا ما أصابه المرض! فالمسلم مطالب بالتسليم للقدر،

فما أَرَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاقَعَ لَا مَحَالَةَ؛ إِذْ قَضَاءُ اللهِ وَقَدَرُهُ لَا يَتَخَلَّفُ، فَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ قَدِ اجْتَهَدَ فِي الْعَمَلِ، وَأَخَذَ بِالْأَسْبَابِ، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، وَطَلَبَ الْخَيْرَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ؛ فَلَا عَلَيْهِ بَعْدَهَا إِلَّا أَنْ يُفَوِّضَ أَمْرَهُ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اخْتِيَارَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْخَيْرُ، حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ مَا وَقَعَ لَهُ مَكْرُوهًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ دَفْعَ قَدْرِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَغْيِيرَهُ دُونَ إِذْنِ مَنْ مِنَ اللهِ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ لَذَلِكَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا. (الدرر السنية)

يقول ابن القيم-رحمه الله- في "شفاء العليل ص: ١٨": "فسعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا، وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص، فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع. **وقد قال رسول الله ﷺ: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز "**. (رواه مسلم)

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله، ومشيتته، وتوفيقه، أمره أن يستعين به ليجمع له مقام **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته. فأمره بأن يعبد ويستعين به. وقوله: **" استعن بالله "**، أي: اطلب الإعانة في جميع أمورك من الله لا من غيره، كما قال تعالى: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**، فإن العبد عاجز لا يقدر على شيء إن لم يعنه الله عليه، فلا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وقد كان النبي ﷺ يقول في خطبته: **" الحمد لله نحمده ونستعينه "**. أي نطلب معونته. **ومن دعاء القنوت: " اللهم إنا نستعينك "**. (رواه البيهقي وابن أبي شيبة وصححه الألباني في الإرواء: ٢/ ١٦٤). وأمر معاذ بن جبل ﷺ أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول: **" اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك "**. (رواه أبو داود وصححه الألباني) وكان من دعائه: **" اللهم أعني ولا تعن علي "**. (رواه أبو داود وصححه الألباني)

وإذا حقق العبد مقام الاستعانة وعمل به، كان مستعينًا بالله عز وجل متوكلاً عليه، راغبًا وراهبًا إليه؛ فيحقق له مقام التوحيد، إن شاء الله تعالى.

وقوله ﷺ: **" ولا تعجز "**، وهو بكسر الجيم وفتحها، أي استعمل الحرص والاجتهاد في تحصيل ما ينفعك من أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه متكلاً على القدر، أو متهاونًا بالأمر، فتنسب للتقصير وتُلام على التفريط شرعًا وعقلًا مع إنهاء الاجتهاد نهايته وبلاغ الحرص غايته، فلا بد من الاستعانة بالله والتوكل عليه والالتجاء في كل الأمور إليه، فمن ملك هذين الطريقتين حصل على خير الدارين ". اه بتصرف

وقال ابن القيم أيضًا في "مدارج السالكين": "العجز ينافي حرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله، فالحرص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدر إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمه الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه".

وقال ابن كثير -رحمه الله-: "الدين كله يرجع إلى العبادة والاستعانة، فالعبادة تبرؤ من الشرك، والاستعانة تبرؤ من الحول والقوة إلا بالله والتفويض إلى الله، وهذا المعنى في غير آية من القرآن كقوله تعالى:

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ وقوله تعالى:

﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

والناس في أمر العبادة والاستعانة على أقسام:

أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها، ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي

علمه النبي ﷺ لحيه معاذ بن جبل ؓ فقال: **يا معاذ! والله إني لأحبك، فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة:**

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . (رواه أبو داود وصححه الألباني)

فأنفع الدعاء طلب العون من الله تعالى على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

القسم الثاني: وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به، فلا عبادة ولا استعانة بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته لا على مرضاة ربه وحقوقه؛ فإنه سبحانه يسأله من في السموات والأرض، يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمد هؤلاء وهؤلاء من عطائه وما كان عطاء ريك محظورًا، وأبغض خلقه عدوه إبليس، ومع هذا فقد سأله حاجة فأعطاه إياها ومتعه بها، ولكن لما لم تكن عونًا له على مرضاته كانت زيادة له في شقوته وبعده عن الله وطرده عنه، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ولم يكن عونًا على طاعته كان مبعدًا له عن مرضاته قاطعًا له عنه ولا بد.

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، وهؤلاء نوعان: أحدهما: القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألفاظ، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل؛ فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق وإرسال الرسل وتمكينه من الفعل؛ فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة، فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أوليائه اختاروا لنفوسهم

الإيمان وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد أوجب لهم الإيمان وخذل هؤلاء بأمر آخر أوجب لهم الكفر. فهؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة لا استعانة معه، فهم موكلون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد.

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم؛ فقل نصيبهم من (إياك نستعين)، ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكلهم ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم، ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله.

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنعمة والضر وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يدُر مع ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليه واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه، وطلبها منه وأنزلها به فقضيت له، وأسعف بها سواء كانت أموالاً أو رياسة أو جاهاً عند الخلق، ولكن لا عاقبة له؛ فإنها من جنس المُلْك الظاهر والأموال لا تستلزم الإسلام فضلاً عن الولاية والقرب من الله؛ فإن المُلْك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر والمؤمن والكافر. ولا شك أننا نرى هذا النموذج في النجوم والمشاهير الذين يبذلون أقصى جهدهم في التميز في الفن والرياضة والسياسة وغيرها من المجالات ثم هم بعد ذلك أبعد ما يكونون عن الله عز وجل. فمن استدل بشيء من ذلك على محبة الله لمن أتاه إياه ورضاه عنه، وأنه من أوليائه المقربين فهو من أجهل الجاهلين، وأبعدهم عن معرفة الله ومعرفة دينه، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه؛ فالحاصل من الدنيا كالمُلْك والمال إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته وتنفيذ أوامره ألحقه بالملوك العادلين البررة وإلا فهو وبال على صاحبه ومبعد له عن الله وملحق له بالملوك الظلمة والأغنياء الفجرة". اهـ بتصريف

٣١- يا باغي الخير: بع نفسك لله تعالى تريح الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ١١١)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى خيرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه ﴿اشْتَرَى﴾ بنفسه الكريمة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ فهي المثلث والسلعة المباعة. ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ التي فيها ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، والحرور الحسان، والمنازل الأنيقات. وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه ف ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات. ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق. ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا. ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعيان وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان. وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبائع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق ". اهـ

وأخرج الإمام أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا كعب بن عجرة! الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها". (صحيح الترغيب والترهيب: ٨٦٦)

وأخرجه الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو^(١) فَبَائِعٍ نَفْسَهُ فَمُعْتَقِهَا، أَوْ مُوبِقِهَا^(٢)".

ها قد فتحت في رمضان أبواب الخير والمغفرة والرحمة، فمن يبتغي؟

ها قد انتصب سوق رمضان وعرضت الجنان، فمن يشتري؟

من يشتري حسنات كأمثال الجبال تنقل الميزان؟

من يشتري مغفره الذنوب السالفة بصيام الجوارح عن الآثام، وإحياء ليلة القدر، وقيام ليالي رمضان؟

من يشتري الري من الظمأ في يوم يشيب من هوله الولدان؟

من يشتري جوار الحبيب محمد ﷺ في دار سقفا عرش الرحمن؟ فيا باغي الخير... أقبل.

١- كَلُّ النَّاسِ يَغْدُو: بِمَعْنَى يُبَكِّرُ، وَالغَّدُو: سَبَرٌ أَوَّلَ النَّهَارِ.

٢- فَبَائِعٍ نَفْسَهُ، فَمُعْتَقِهَا، أَوْ مُوبِقِهَا: أَي كَلَّ إِنْسَانٌ يَسْعَى بِنَفْسِهِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَيَكُونُ مُنْقِذًا لَهَا مِنَ النَّارِ، أَوْ يَسْعَى بِنَفْسِهِ إِلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَهَوَاهُ، فَيُهْلِكُهَا بِخَوْلِهَا مِنَ النَّارِ. (أفاده النووي في شرحه على مسلم)

٣٢- يا باغي الخير: لا تعتمد في جلب المشقة على نفسك:

أخرج الحاكم من حديث عائشة-رضي الله عنها-أن رسول الله ﷺ قال لها في عمرتها: " **إِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ^(١) وَنَفَقَتِكَ** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٦)

ومعنى الحديث: أن المشقة إذا كانت ملازمة للعبادة، بحيث لا يمكن القيام بالعبادة إلا مع تحمل هذه المشقة، فهنا يزداد في الأجر والثواب، كالمشي إلى الصلاة في شدة الحر أو البرد، أو كالسفر للحج أو العمرة، أو كالوضوء بالماء البارد (وليس هناك غيره) في الشتاء، أو التعب الحاصل من قيام الليل... وليس المقصود من الحديث: تعذيب النفس وجلب المشقة في العبادة حتى يزداد الأجر، فهذا فهم مغلوطن.

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَادَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَأَادَا فَتَرَّتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، حُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَأَادَا فَتَرَ فُلَيْقَعُدُ** ".

وقول النبي ﷺ: " **لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَأَادَا فَتَرَ فُلَيْقَعُدُ** "، أي: ليُصَلَّ كُلُّ مُسْلِمٍ وَقَتَ نَشَاطِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الصَّلَاةِ، فَإِذَا تَعَبَ أَوْ أَصَابَهُ الْمَلَلُ فُلَيْقَعُدُ، والمقصود بقوله: " **يَقَعُدُ** " إمَّا أَنْ يَكْفَى عَنْ الصَّلَاةِ وَيُسَلِّمَ، أَوْ أَنْ يَجْلِسَ فِيهَا، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ ابْتِدَاءِ الصَّلَاةِ قَائِمًا ثُمَّ الْجُلُوسِ فِيهَا. وفي الحديث: يُكْرَهُ التَّشْدِيدُ فِي الْعِبَادَةِ خَشْيَةَ الْفُتُورِ، وَخَوْفَ الْمَلَلِ؛ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ عَنْهَا الْمَرْءُ.

وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود واللفظ له عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيُرْقِدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسِبُ نَفْسَهُ** ". (صحيح أبي داود: ١٣١٠)

وأخرج ابن حبان أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-: " **يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو! بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ فَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَجْسِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا صُمْ وَأَفْطِرْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، صَوْمَ الدَّهْرِ** " قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّي أَجِدُ قُوَّةَ قَالَ: " **صُمْ صَوْمَ دَاوُدَ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا** ". قال: وكان عبد الله بن عمرو يقول: **يَا لَيْتَنِي كُنْتُ أَخَذْتُ الرُّخْصَةَ** ". (صحيح ابن حبان: ٣٦٣٨)

- وفي رواية في الصحيحين قال: " **فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعَفْتُ** ".

وفي الحديث: الاقتصاد في بعض العبادات؛ لِيَتَبَقَى بَعْضُ الْقُوَّةِ لغيرها. وفيه أيضًا: بيان رفق رسول الله ﷺ بأمتيه، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِرْشَادِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى مَا يُصْلِحُهُمْ، وَحَنَّةِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا يُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيْهِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ التَّعَمُّقِ فِي الْعِبَادَةِ؛ لِمَا يُخْشَى مِنْ إِفْضَائِهِ إِلَى الْمَلَلِ أَوْ تَرْكِ الْبَعْضِ.

فالإسلام جاء بالتخفيف والتيسير على الناس. والتنطع والتكلف في العبادة توقع صاحبها في المشقة الزائدة والحرَج المنفي في الشريعة، وقد قال الله تعالى: ﴿ **مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (الحج: ٧٨).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ (البقرة: ١٨٥).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨).

ويقول تعالى في وصف الرسول ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

ومن دلائل اليسر والسماحة في الشريعة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ويؤكد الرسول ﷺ ذلك الأساس في أحاديث كثيرة منها:

قال ﷺ: "يسروا ولا تعسروا".

وفي رواية: "إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ". (رواه البخاري)

وقال رسول الله ﷺ: "بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ". (رواه الإمام أحمد).

وقال ﷺ أيضًا: "هَلْكَ الْمُتَتَطَّعُونَ - قَالَهَا ثَلَاثًا -". (أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ)

- وقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "ما خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ

قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ".

وهذا يدل على هديه ﷺ في السماحة واليسر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومما ينبغي أن يعرف أن الله تعالى ليس رضاه أو محبته في

مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق، حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير

من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء، لا، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته

وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله. فأبي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع، كان أفضل؛ فإن

الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل..". اهـ (مجموع الفتاوى: ٢٥/٢٨١)

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: "كثيراً ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب، لا لأن التعب والمشقة

مقصود من العمل، ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب، هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار

والأغلل، ولم يُجعل علينا فيه حرج، ولا أريد بنا فيه العسر.

فتحمل المشاق والنصب ليس مطلوباً لذاته، حتى يقصده العبد، بل الأجر فيها لاستلزام العبادة لها، ولما

يترتب عليها من المصالح الشرعية، وقد عقد العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام فصلاً فيما يتفاوت

أجره بتفاوت تحمل مشقته فقال: إن قيل: ما ضابط الفعل الشاق الذي يؤجر عليه أكثر مما يؤجر على

الضعيف؟ قلت: إذا اتحد الفعلان في الشرف والشرائط والسنن والأركان، وكان أحدهما شاقاً فقد استويا في

أجرهما لتساويهما في جميع الوظائف، وانفرد أحدهما بتحمل المشقة لأجل الله - سبحانه وتعالى -، فأثيب على تحمل المشقة لا على عين المشاق، إذ لا يصح التقرب بالمشاق، لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عين المشاق تعظيماً ولا توقيراً... وذلك كالاغتسال في الصيف والربيع بالنسبة إلى الاغتسال في شدة برد الشتاء، فإن أجرهما سواء لتساويهما في الشرائط والسنن والأركان، ويزيد أجر الاغتسال في الشتاء لأجل تحمل مشقة البرد، فليس التفاوت في نفس الغسلين، وإنما التفاوت فيما لزم عنهما، وكذلك مشاق الوسائل في من يقصد المساجد والحج والغزو من مسافة قريبة، وآخر يقصد هذه العبادات من مسافة بعيدة، فإن ثوابيهما يتفاوتان بتفاوت الوسيلة، ويتساويان من جهة القيام بسنن هذه العبادات وشرائطها وأركانها، فإن الشرع يثيب على الوسائل إلى الطاعات كما يثيب على المقاصد، مع تفاوت أجور الوسائل والمقاصد... قد علمنا من موارد الشرع ومصادره أن مطلوب الشرع إنما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقة مصلحة. بل الأمر بما يستلزم المشقة بمثابة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المر البشع، فإنه ليس غرضه إلا الشفاء". اهـ

وعلى ذلك؛ فمن الإحسان أن يتقصد العبد القيام بعمل صالح يحبه الله تعالى ويرضاه - وإن كان يعلم أنه يستلزم وقوعه في الأذى - فيتحمله طلباً للعبادة وثوابها، لا لمجرد المشقة. بخلاف من يفعل ما لم يؤمر به شرعاً حتى يهلك نفسه أو يلحق بها الأذى، فهذا نوع من الظلم والتعدي مخالف لمقاصد الشرع الحنيف،

ويقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في " شرحه لرياض الصالحين: ٣/ ٧٩: " : " الصوم أشق على كثير من الناس من إطعام المسكين، فلما كان أشق علم أنه أفضل، لأن الإنسان إذا عمل عبادة شاقة بأمر الله، كان أجرها أعظم، ومن ثم كان الأبعد من المسجد أعظم أجراً من الأدنى من المسجد لأنه أكثر عملاً، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يطلب المشقة في العبادات التي يسرها الله، هذا من التتبع في الدين، لكن إذا كلفك الله بعبادة، وشقت عليك صار هذا أعظم، أما أن تتطلب المشاقة كما يفعل بعض الجهال في أيام الشتاء، مثلاً يذهب فيتوضأ بالماء البارد ويقول: لأن إسباغ الوضوء على المكاره مما يرفع الله به الدرجات، ويمحو به الخطايا، نقول: يا أخي ما هذا أراد الرسول ﷺ إنما أراد الرسول ﷺ أن الإنسان إذا توضأ بماء بارد في أيام الشتاء كان أعظم أجراً، ولكنه لم يقل: اقصد الماء البارد، فإذا من الله عليك بالماء الساخن تستطيع أن تسبغ الوضوء فيه إسباغاً كاملاً فهذا أفضل "

خلاصة ما سبق: أن التشديد على النفس في العبادة ليس مقصوداً لذاته، وقد كان النبي ﷺ يصب على رأسه الماء عند اشتداد الحر وهو صائم. كما ثبت ذلك في سنن أبي داود عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال: " لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر".

- وعند البخاري تعليقاً: " أنه كان لأنس بن مالك رضي الله عنه أبزن ^(١) يقتحم ^(٢) فيه وهو صائم ."

وهذا من الرفق بالجسد، والتيسير على النفس، وبث النشاط فيها، لتتمكن من مزيد من الطاعة، إذ مقصود العبادة الأعظم امتثال الأمر وتقديم الخضوع لله تعالى على محبوبات النفس وملذاتها، لا تعذيب الجسد وإيذائه والقسوة عليه.

وقد بوب البخاري في صحيحه " باب اغتسال الصائم" ثم قال: **ويل ابن عمر-رضي الله عنهما- ثوباً فألقاه عليه وهو صائم.** ودخل الشعبي الحمام- أي للاغتسال- وهو صائم. وقال الحسن-رحمه الله-: لا بأس بالمضمضة، والتبريد للصائم ". (صححهما الحافظ في "الفتح": ٤/١٨٢)

ويلتحق بذلك في أيامنا أجهزة المراوح والتكييف، وبالجملة فكل ما يخفف العبادة على الشخص ويمكنه من أدائها وهو نشيط مطمئن مقبل على ربه -عز وجل- أمر مطلوب شرعاً، وكل مشقة يمكن الانفكاك عنها مع أداء العبادة على وجهها فهو من مقاصد الشرع. فعلى الإنسان إلا يشدد على نفسه في العبادة حتى لا يرهقها فينقطع عنها.

وقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود واللفظ له من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " **اكفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملئ حتى تملأوا، وإن أحب العمل إلى الله أدومته وإن قل، وكان إذا عمل عملاً أثبته** ". (صحيح أبي داود: ١٣٦٨)

وقال ﷺ: " **إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** ". (رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

تنبيه: قاعدة: " أن الأجر على قدر المشقة"، ليس مطردة في كل شيء، بل هناك من الأعمال ما هو أخف وأعظم أجراً.

قال الزركشي-رحمه الله- في "المنثور في القواعد: ١٥/٢": " العمل كلما كثر وشق كان أفضل مما ليس كذلك، وفي حديث عائشة-رضي الله عنها-: " **إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك** ". وقد يفضل العمل القليل على الكثير في صور: منها: قصر الصلاة أفضل من الإتمام للمسافر. ومنها: الصلاة مرة في الجماعة أفضل من فعلها وحده خمساً وعشرين مرة. ومنها: تخفيف ركعتي الفجر أفضل من تطويلهما. ومنها: التصدق بالأضحية بعد أكل لقم منها أفضل من التصدق بجمعها. ومنها: قراءة سورة قصيرة في الصلاة أفضل من قراءة بعض سورة، وإن طالت، لأنه المعهود من فعله ﷺ غالباً ". اهـ بتصرف واختصار والله أعلم.

١- الأبز: هو حجر منقور شبه الحوض.
٢- يقتحم: أي يدخل فيه، والمقصود: أنه يغتسل.

٣٣- يا باغي الخير: عليك بملازمة الصبر عموماً؛ وفي رمضان خصوصاً:

الصوم في لسان العرب يقصد به الصبر.

قال ابن الأنباري-رحمه الله-: "إنما سُمي الصيام صبراً، لأنه حبس النفس على المطاعم والمشارب والمناكح والشهوات وكما هو معلوم أن الصبر ثلاثة أنواع: الأول: الصبر على طاعة الله، والثاني: صبر على معصية الله، الثالث: الصبر على الأقدار المؤلمة".

وعباداة الصيام تجمع هذه الأنواع الثلاثة من الصبر. فإن اجتمع أنواع الصبر الثلاثة في عبادة، إنها والله لعبادة عظيمة.

وقد سمي النبي ﷺ شهر رمضان: شهر الصبر، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن النمر بن تولب **قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ وَحَرِ صَدْرِهِ ^(١) فَلْيَصُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ ^(٢)، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ "** . (صحيح الترغيب والترغيب: ٢٤٦٧)

وكان عمر بن الخطاب **يقول: " أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً "**.

فالصبر من أعظم الأخلاق وأنفعها، ومن قل صبره اشتد جزعه، فسار صريع همومه، وفريسة غمومه. فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن تلونت فيه الشهوات وتزينت فيه المنكرات.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن تسمى الفواحش بغير اسمها، وتبرز فيها الرذيلة بأبهي صورها. فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن انتشرت فيه الشبهات المضلة، والعقائد المنحرفة، والآراء المجردة من الأدلة.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر في زمن يتخذ فيه الهوى؛ الإله المعبود، والمال؛ هو الهدف المنشود؛ واللذة الفانية؛ الغاية المطلوبة، فتنتهك المحرمات، وتنتشر السيئات.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر على الأذى من إخوانهم، لأن المسلم لا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح.

فما أحوج المسلمين إلى الصبر على الأذى حين يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر، فطريق الدعوة إلى الله ليس مفروشة بالورود، لكن يحتاج إلى جهد كبير لإنقاذ الأمة مما هي فيه من ظلمات الجهل والمعاصي، لكن كل أذى يهون في سبيل الله ولطلب مرضاته والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

١- وَحَرِ صَدْرِهِ الوحر بفتحين، أي: غشه ووساوسه، أو حقه، أو غيظه، أو عداوته، وقيل أشد الغضب، وبالجمله فالمراد تنقية الصدر.
٢- شهر الصبر: هو شهر رمضان، وصيامه واجب، وثلاثة أيام من كل شهر من أوله أو من آخره أو وسطه، وهذا صيام نقل وليس واجبا.

٣٤- يا باغي الخير: بادر بالأعمال الصالحة قبل أن يأتيك الأجل:

اعلم أن قصر الأمل مع حب الدنيا متعذر، وانتظار الموت مع الانكباب عليها غير متيسر، فالقلب إذا امتلاً بأحدهما فإنه لا يسع الأخرى، كالدنيا والآخرة والمشرق والمغرب، بقدر ما تقترب من أحدهما تبتعد من الأخرى، فقصر الأمل يجعل الإنسان يسارع بحسن العمل، وبهذا يقترب من الآخرة، ويبتعد عن الدنيا.

والنبي ﷺ كان يحث على المبادرة للعمل الصالح قبل أن يُفتن الإنسان، أو يُشغل، أو يموت.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا".

وأخرج ابن ماجه والبيهقي من حديث جابر رضي الله عنه قال: "خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، توبوا قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم، بكثرة ذكركم، وكثرة الصدقة في السر والعلانية؛ تزرقوا وتنصروا وتُجبروا". (ضعيف الجامع: ٦٣٨٦)

وأخرج الترمذي والحاكم بسند فيه مقال من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال سبغاً: هل تنظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطعياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر". (ضعيف الجامع: ٢٣١٥)

وأخرج الحاكم في "المستدرک" والبيهقي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك". (صحيح الجامع: ١٠٧٧)

فيا عجباً... أنسَ بالدنيا مفارقتها، وأمنَ النار واردتها، وكيف يغفل من لا يغفل عنه؟!، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله، وحياته إلى موته؟!.

فالمبادرة... المبادرة

قال الحسن -رحمه الله-: "المبادرة المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرَّبون بها إلى الله ﷻ رحم الله امرءاً نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (مريم: ٨٤) ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلِكَ، آخر العدد دخولك في قبرك". (قصر الأمل ص: ١٠٦)

وقال محمد بن علي الباقر -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (مريم: ٨٤) قال: النَّفْسُ.

(صفة الصفوة: ١٥٩/٣) (قصر الأمل ص: ١٢٦)

ونقل هذا القول عن ابن عباس -رضي الله عنهما- كما في "تفسير ابن كثير: ١٣٧/٣".

وكان حسان بن أبي سنان -رحمه الله- يقول: "بادر انقطاعَ عمك، فإن الموت إذا جاء انقطع البرهان".
(قصر الأمل ص: ١١١)

وقال المنذر أبو يحيى: سمعتُ مالك بن دينار يقول لنفسه: "ويحك! بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر!، قال: فسمعتَه يقول ذلك ستين مرة".
(قصر الأمل ص: ١٠٥)

وصدق أبو محمد حبيب العجمي -رحمه الله- حيث قال: "لا تقعدوا فُرَاغًا؛ فإن الموت يطلبكم".
(قصر الأمل ص: ١٠٥)

قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- لأبي حازم: "أوصني: فقال له أبو حازم: اضجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك الساعة، فخذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن، ففعل تلك الساعة قريبة".

فلا ترح فعل الخير إلى غدٍ لعل غدًا يأتي وأنت فقيد

وكان أبو معاوية الأسود يقول لنفسه: "إن كنت يا أبا معاوية، تريد لنفسك الجزيل، فلا تتامنَّ الليل ولا تقيل، قدّم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال، بادر ثم بادر قبل نزول ما تُحادر، ولا تهتم بأرزاق من تُخالف، فليست أرزاقهم تُكاف". (حلية الأولياء: ٢٧٢/٨) (صفة الصفوة: ٢٧١/٤)

قال بعضهم يُوبِّخ نفسه ويعظها: "يا نفس، بادري بالأوقات قبل انصرامها، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها، فكأنك بالقبور وقد تشققت، وبالأمر وقد تحققت، وبوجوه المتقين وقد أشرفت، وبرؤوس العصاة وقد أطرقت، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ١٢) يا نفس أما الورعون فقد جدّوا، وأما الخائفون فقد استعدّوا، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا، وأما الواعظون فقد نصحوا وصاحوا. العلم لا يحصل إلا بالنصب، والمال لا يُجمَع إلا بالتعب".

فيأيها العبد الحريص على تخليص نفسه، إن عزمت فبادر، وإن همت فتأبر، واعلم أنه لا ينال العزَّ والمفاخر إلا من كان في الصف الأول.

جاء في "حلية الأولياء: ٦٩/٩" و"قصر الأمل" لابن أبي الدنيا ص: ٩٢ عن أبي زكريا التيمي قال: "بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقور^(١)، فطلب من يقرأه، فأتي بهوب بن منبه؛ فقرأه؛ فإذا فيه: "ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من أجلك، لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عمك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدًا ندمك، لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فبكى سليمان بكاءً شديدًا".

١- منقور: مكتوب فيه، يُقال: نُقر في الحجر، أي كتب فيه.

أحبتي في الله... مَنْ خاف هجوم الأجل، قصر الأمل، وبادر بحسن العمل.

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ خاف أدلج ^(١)، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة."

أدرك الصالحون خطورة الأمر، فشمروا عن ساعد الجد، وأيقنوا أن الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية؛ إنما هي حياة الأبرار في دار الرحمن؛ حيث جنات النعيم، فكان كل ما يشغل بالهم ويسيطر على وجدانهم أن يبذلوا قصارى جهدهم؛ ليفوزوا بهذا النعيم؛ وينعموا برؤية وجه الله الكريم.

فها هو ابن عمر-رضي الله عنهما-: "كان يقوم من الليل فيتوضأ ويصلي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم يصلي، يفعل ذلك مرارًا."

واجتهد الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قبل موته اجتهادًا شديدًا، ف قيل له: "لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق؟، فقال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها؛ والذي بقي من أجلي أقل من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات!". (قصر الأمل: ص ١٠٨)

وكان أبو مسلم الخولاني-رحمه الله- يقول كما في "صفة الصفوة": "لو رأيت الجنة عيانًا ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عيانًا ما كان عندي مستزاد."

وقال أبو حمزة-رحمه الله- كما في "تذكرة الحفاظ": "لو قيل لصفوان بن سليم السّاعة غداً، ما كان عنده مزيد عمل".

وكان عمير بن هاني-رحمه الله-: "يُسبّح كل يوم مائة ألف تسبيحة".

ونحن ربما يمرُّ اليوم ولا نُسبِّح حتى تسبيحة واحدة في اليوم، **في حين أن النبي ﷺ قال فيما يرويه الترمذي:** "مَنْ قال سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرست له نخلة في الجنة".

فكم ضيِّعنا من نخيل؟ كم ضيِّعنا من نخيل؟

وقال أبو بكر بن عياش-رحمه الله-: "ختمتُ القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة".

وهكذا بادر القوم بالعمل؛ مخافة أن يفاجئهم الأجل؛ فبذلوا النفس والنفيس؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى.

قال الليدي-رحمه الله-: "وجدت بعد موت أبي إسحاق الجبنياني-رحمه الله- رقعة تحت حصيرة مكتوبة بخطه: رجل وقف له هاتف، فقال له: أحسن أحسن عملك، فقد دنا أجلك، فقال لي ولده عبد الرحمن: إنه كان إذا قصر في العمل، أخرج الرقعة فنظر فيها ورجع إلى جدّه".

وقال سفيان الثوري - رحمه الله -: "رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي؛ لو أتاني ما أمرته بشيء، ولا نهيته عن شيء، ولا لي على أحد شيء، ولا لأحد عندي شيء!". (قصر الأمل ص: ٧١) (إحياء علوم الدين: ٤/٦٦٣)

وقال القعقاع بن حكيم: "لقد استعددتُ للموت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء". (قصر الأمل ص: ٧١) (إحياء علوم الدين: ٤/٦٦٣)

مازال يلهج بالرحيل وذكره
حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه مستيقظاً متشمراً
ذا أهبة لم تلته الآمال

• بل كانوا يحرصون على التزوّد من الطاعة حتى في آخر لحظات حياتهم.

يقول أبو محمد الجبري - رحمه الله -: "كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم الجمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد، رأيت أحداً أحوج مني في هذا الوقت؟ هو ذا تُطوى صحيفتي".

وقال بشر بن عبد الله النهشلي: "دخلنا على أبي بكر النهشلي وهو في الموت، وهو يومئ برأسه - يرفعه ويضعه - كأنه يُصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟ قال: إنني أبادر طي الصحيفة!". (سير أعلام النبلاء: ٧/٣٣٣) (وقصر الأمل: ص ١١٣)

بل انظر لهذا الموقف الجليل لعمير بن الحمام .

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: "إنه في غزوة بدر، فلما دنا المشركون قال النبي ﷺ: " قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض"، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض، قال: نعم، فقال عمير: بخ...بخ^(١)، فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك: بخ... بخ، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة؛ فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتل".

وختاماً... أدكر بقول رب العالمين، حيث قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرُبَكُمُ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا وَلَا يَغْرُبَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (فاطر: ٥)

١- بخ: يخ: كلمة تُقال لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

فالدنيا دار غرور، فمن شغل بها فهو المغرور، والأيام تسرع وتدور، والعمر يذهب ولا يعود، ومع كل طلعة شمس ينادي اليوم ويقول: "يا ابن آدم أنا يوم جديد، وعلى ما تعمل في شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدّم ما شئت تجده بين يديك، وأخّر ما شئت فلن أعود أبداً إليك".

فغفل كثيرٌ منا عن هذا؛ فأخذ يلهث وراء الملذات، والانغماس في الشهوات، والوقوع في المحرمات؛ فتضيع الأوقات، وتفنى الأعمار، ويأتيه الموت فجأة، فيجتمع عليه سكرة الموت، مع حسرة الفوت، فيصرخ قائلاً:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ...﴾ (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)

فيا غافلاً عن نفسه! أمرك عجيب، يا قتيل الهوى! داؤك غريب، يا طويل الأمل ستدعى فتجيب، وهذا عن قليل، وكل آت قريب، هلا تذكّرت لحدك، وكيف تبيت وحدك، وبياشر الثرى خدك، وتقتسم الديدان جلدك، ويضحك المحبُّ بعدك، ناسياً عنه بعدك؟! والأهل مذ وجدوا المال ما وجدوا فقدك، إلى متى وحتى متى تترك رشدك؟! أما تحسن أن تحسن قصدك؟! الأمر جد مجد، فلازم جدك. (التبصرة: ٢٠٦/٢)

أخي الحبيب... الموت أول وارد عليك، والقبر أقرب منك إليك، فاستعد لسفرك، وتأهب لرحيلك، وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن؛ إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغترّ بما اغترّ به البطالون قبلك، من طول آمالهم، فقصروا عن ربهم وزادهم، فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا حمدوا أنفسهم على التقصير.

(التبصرة لابن الجوزي: ٣٨٦/١)

أيها السكران بالآمال	قد حان الرحيلُ
ومشيب الرأس والفؤدين	للموت دليلُ
فانتبه من رقدة الغفلة	فالعمر قليلُ
واطرح سوف وحتى	فهما داءٌ دخيلُ

يقول خلد العصري-رحمه الله-: "كلنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعداً! وكلنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملاً! وكلنا قد أيقن بالنار، وما نرى لها خائفاً! فعلام تعرجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أول واردٍ عليكم من الله، بخير أو بشر! يا إخوتاه سيروا إلى ركم سيراً جميلاً". (صفة الصفوة: ٢٣١/٣)

إلهي لا تعذبني فإني	مُقرّ بالذي قد كان مني
وما لي حيلة إلا رجائي	لعفوك إن عفوت وحسن ظنّي
وكم من ذلةٍ لي في الخطايا	وأنت عليّ ذو فضلٍ ومنّ
أجن بزهرة الدنيا جنوناً	وأقطع طول عمري بالتمني
يظن الناس بي خيراً وإني	لشر الخلق إن لم تعف عني

٣٥- يا باغي الخير: عليك أن تجتهد في ليالي العشر الأواخر من رمضان:

هذا شهر رمضان قد انتصف، فمن منا حاسب نفسه وانتصف؟ من منا قام في هذا الشهر بحقه الذي عرف؟ من منا عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له فيها عرفاً من فوقها عرف؟ ألا إن شهركم قد أخذ في النقص، فزيّدوا أنتم في العمل...

فكأنكم به وقد انصرف.. فكل شهر عسى أن يكون منه خلف... وأمّا شهر رمضان، فمن أين لكم منه خلف؟

تصرم الشهرُ وا لهفاه وانهدماً واختص بالفوزِ بالجناتِ من خدماً
وأصبح الغافل المسكين منكسراً مثلي فيا ويحه يا عظم ما حرماً
من فاته الزرعُ في وقتِ البدارِ فما تراه يحصدُ إلا الهَمَّ والنَّدماً

كنا قبل أيام قلائل نستقبل رمضان، ونهني الأمة بمقدمه، وها هو شهر رمضان قد اصفرت شمسها، وأذنت بالغروب، فلم يبق إلا ثلثه الأخير، وهي ذات فضل عظيم وأجرها وثوابها كبير، فاعتتمها فإنما هي أيام وليال معدودة سرعان ما تنتضي وتنتهي، وعما قليل يطوى سجله بما فيه من إحسان المحسن وإساءة المسيء. وتُسْفَح من بعد العبرات على فراق أيام الخيرات والبركات. فمن الذي سينفض عنه سنّة الغفلة ويُسَمِّر عن ساعد العزم؟ قبل أن ينقضي رمضان. من الذي سيرفض ظلام التواني، ويستقبل فجر العمل؟ من العشر قبل الانصرام؟

وقد كان الحبيب النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره. ويخص هذه العشر بمزيد من الأعمال الصالحات، لا يعملها في سائر الشهر، فمن ذلك إحياء الليل كله، واجتتاب النساء..

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ شَدَّ مِزْرَهُ^(١)، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ .**

قال ابن رجب -رحمه الله-: " ولم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام لا يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه ."

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: " أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجّد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده للصلاة، إن أطافوا ذلك ."

هكذا كان عليه الصلاة والسلام في هذه العشر؛ تفرغاً للعبادة، وإقبالا عليها، بل لقد كان عليه الصلاة والسلام يعتكف في هذه العشر؛ لينقطع عن الدنيا ومشاغلها، ويتفرغ لطلب ليلة القدر.

١- وشدّ الميزر: كناية عن اعتزال النساء، وقيل: بل كناية عن الجد في العبادة، ويحتمل أن يُراد الأمران معاً، وهذا هو الظاهر.

وَمِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَارَتْ قَوَافِلُ الصَّالِحِينَ الْمُقْرَبِينَ عَلَى الطَّرِيقِ ذَاتَهُ، تَقَفُ عِنْدَ الْعَشْرِ وَاقِفَةً جَدِّ وَصِرَامَةً؛ تَمْتَصُّ مِنْ رَحِيقِهَا، وَتَنْهَلُ مِنْ مَعِينِهَا، وَتَرْتَوِي مِنْ فَيْضِ عَطَاءَاتِهَا، وَتَعْمَلُ فِيهَا مَا لَا تَعْمَلُ فِي غَيْرِهَا.

قَالَ أَبُو عَثْمَانَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "كَانُوا يُعَظَّمُونَ ثَلَاثَ عَشْرَاتِ: الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ مُحْرِمٍ، وَالْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْعَشْرَ الْأَوَّخَرَ مِنْ رَمَضَانَ".

وَكَانَ قَتَادَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَخْتَمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً، فَإِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ خَتَمَ فِي كُلِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ مَرَّةً، فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ خَتَمَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَرَّةً.

• وَمِنْ شِدَّةِ تَعْظِيمِهِمْ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ كَانُوا يَتَطَيَّبُونَ لَهَا وَيَتَزَيَّنُونَ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "كَانُوا يَسْتَحْبُونَ أَنْ يَغْتَسِلُوا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَّخَرَ، وَكَانَ النَّخَعِيُّ يَغْتَسِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَغْتَسِلُ وَيَتَطَيَّبُ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تَكُونُ أَرْجَى لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَهَذَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

٣٦- يا باغي الخير: احرص على أن تعتكف العشر الأواخر من رمضان:

وَالِاعْتِكَافُ لُغَةً: لَزُومُ الشَّيْءِ وَحَبْسُ النَّفْسِ عَلَيْهِ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَتَمَّ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٥٢) أَي لَهَا مَلَاذِمُونَ. (لسان العرب: ٤/٣٠٥٨)

وَالِاعْتِكَافُ شَرْعًا: مَلَاذِمَةُ الْمَسْجِدِ عَلَى سَبِيلِ الْقَرِيبَةِ مِنْ شَخْصٍ مَخْصُوصٍ بِصِفَةِ مَخْصُوصَةٍ، يَعْنِي لَزُومَ الْمَسْجِدِ وَالِإِقَامَةَ فِيهِ بِنِيَّةِ التَّعْبُدِ وَالتَّقَرُّبِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى صِفَةِ مَخْصُوصَةٍ. (المعني لابن قدامه: ٤/٤٥٥)

وَيُقَالُ لِمَنْ لَازَمَ الْمَسْجِدَ وَأَقَامَ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ: مَعْتَكَفَ وَعَاكَفَ. (انظر المصباح المنير: ٢/٤٢٤) (لسان العرب: ٩/٢٥٢)

فَحَقِيقَةُ الْعَتِكَافِ هِيَ قَطْعُ الْعَلَائِقِ عَنِ الْخَلَائِقِ لِلاتِّصَالِ بِخِدْمَةِ الْخَالِقِ، وَكَلِمَا قَوِيَّتِ الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُ وَالْأُنْسَ بِهِ، أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا الْإِنْقِطَاعَ إِلَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

مشروعية الاعتكاف:

الاعتكاف طاعة من أحب الطاعات إلى الله تعالى، لذا شرعه في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥)

وَالِاعْتِكَافُ مَشْرُوعٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاجْتِمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ.

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَتَمَّ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة: ١٨٧)

أما السنة: فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عَشْرِينَ يَوْمًا " .

وفي هذا الحديث يظهر لنا أنه يستحب الاعتكاف في رمضان، وأفضله آخر رمضان؟.

وذلك للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

أما الإجماع: فقد نقل الإجماع على مشروعية الاعتكاف غير واحد من أهل العلم منهم ابن المنذر، وابن حزم، وابن هبيرة.

قال ابن المنذر -رحمه الله- في " كتابه الإجماع": وأجمعوا على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضاً إلا أن يوجبه المرء على نفسه نذراً فيجب عليه " . اهـ
وأقر هذا ابن قدامة -رحمه الله- في كتابه المغني.

حكم ومقاصد الاعتكاف:

- ١- التماس ليلة القدر: يقول النووي -رحمه الله- في " كتابه المجموع: ٥٠١/٦": ويتأكد استحباب الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان طلباً لليلة القدر".
 - ٢- الخلوة بالله عز وجل: والانتقاع عن الناس ما أمكن، حتى يتم أنسه بالله ﷻ.
 - ٣- إصلاح القلب: ولم شعثه بالإقبال على الله تعالى، وقد أخبر النبي ﷺ أنه بصلاح القلب ينصلح حال الجسد. فقال ﷺ: " **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**". (رواه البخاري ومسلم)
 - ٤- التقلل من المباح من الأمور الدنيوية.
 - ٥- حفظ الصيام مما يفسده من حظوظ النفس وشهواتها.
 - ٦- الملازمة التامة للعبادة يجعل الإنسان يتعود عليها ويألفها، فتكون له سجية وطبعاً، والأمر كما قال النبي ﷺ: " **الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ** " .
 - ٧- تعود المكث في المسجد: فيكون من جملة السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وقد ذكر النبي ﷺ منهم: "..... **ورجل قلبه معلق بالمساجد.....**". (رواه مسلم)
 - ٨- تعلم الصبر: فالاعتكاف فيه ترويض للنفس لتعلم الصبر عما ألفة من ألوان الطعام والشراب، ولين الفراش، والصبر عن شهوة الزوجة وملذات الدنيا.
 - ٩- تعلم الزهد والتواضع: فالمعتكف ينام على الأرض ويأكل على الأرض، ويأكل ما يُقدم له.
- تنبيه: سيأتي تفصيل هذه الحكم وشرحها في فضائل الاعتكاف.

فضائل الاعتكاف:

في الاعتكاف تظم النفس عن شهواتها، ويخلو العبدُ بالله ﷻ، وتُحقق عبودية التبتُّل، ويُحصل المقصود الأعظم منه بعكوف القلب على الله تعالى. يقول عطاء الخرساني-رحمه الله-: مثل المعتكف؛ كمثل عبد ألقى نفسه بين يدي ربه ثم قال: يارب! لا أبرح حتى تغفر لي، لا أبرح حتى ترحمني.

والاعتكاف أحبتي في الله له منافع عديدة، وفضائل عظيمة منها:

١- الاعتكاف تنفيذ لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- والاقتراء به:

وأكرم بها من عبادة وقربة، ففي تنفيذ سنة النبي ﷺ الأجر الكبير، والفوز العظيم.

وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ؓ قال: " كان رسول الله يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين ".
- وفي رواية عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: " أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله عز وجل".

ويقول ابن عمر-رضي الله عنهما -: " أن النبي ﷺ كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ".

وقال أبي بن كعب ؓ: " أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فسافر عامًا، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين يومًا ". (صحيح سنن ابن ماجه)

قال ابن بطال-رحمه الله-: " فهذا يدل على أن الاعتكاف من السنن المؤكدة، لأنه مما واطب عليه النبي ﷺ فينبغي للمؤمنين الاقتداء في ذلك بنبيهم، وذكر ابن المنذر عن أبي شهاب أنه كان يقول: عجبًا للمسلمين تركوا الاعتكاف، وإن النبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة كل عام في العشر الأواخر حتى قبضه الله ". اهـ. (شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١٨١/٤)

وقال الزهري-رحمه الله-: " عجبًا من الناس كيف تركوا الاعتكاف؟ ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قبض ". (المبسوط: ١١٤/٣) (عمدة القاري: ١٢/١٤٠٢)

٢- الاعتكاف يورث حب المكوث في المسجد:

وحب المكوث في المسجد فيه الخير الوفير، فبعد أن جلس الإنسان عشرة أيام في بيت من بيوت الله لماذا لا يسأل الله تعالى أن يرزقه حب المكث بالمسجد؟ وقد قال رسول الله ﷺ: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل قلبه معلق في المساجد ". (متفق عليه)

قال النووي-رحمه الله- في "شرح مسلم": " ورجل قلبه معلق في المساجد ". معناه: شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المسجد. اهـ.

٣- الاعتكاف فرصة عظيمة لاغتنام والتماس ليلة القدر:

فكان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر كما في حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- السابق؛ التماساً لليلة القدر، والتي قال عنها رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (سورة القدر: ١-٣)

يقول القاضي عياض-رحمه الله- في حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- السابق: " وفيه استحباب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان لمواظبة النبي ﷺ على ذلك لقوله: " **كان يعتكف** " وأكثر ما يستعمل هذا فيما كان يداوم عليه، مع ما دلت عليه نصوص الآثار من تكراره، ولأن ليلة القدر مطلوبة في تلك العشر ". اهـ.

فأقرب الناس إلى هذه الليلة هم المعتكفون، فنهائهم صيام، وليلهم قيام، وحالهم خشوع، وذكرهم دموع، وقلوبهم خضوع، مستغفرون بالأسحار ينتظرون رضا الرحمن.

٤- الاعتكاف أقصر الطرق إلى الإخلاص.

قال نو النون-رحمه الله-: " لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا لم ير غير الله، وإذا لم ير غير الله لم يحركه إلا حكم الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلّق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق.

٥- الاعتكاف يخلص القلب من سمومه الخمس: (فضول النوم-الأكل-الاختلاط-النظر-الكلام):

ولو تحقق ذلك لصلح قلبك، ولو صلح قلبك لصلح كلك، قال ﷺ: " **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب** ". (متفق عليه)

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في " زاد المعاد: ١٧/٢ ": " ومقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحببه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهمُّ كُلهُ به، والخطرات كلها بذكره، والتفكير في تحصيل مرضيه، وما يُقَرَّب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرحُ به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم. اهـ.

وقال ابن رجب-رحمه الله- كما في " لطائف المعارف ص: ٢٧٣ ": " وإنما كان يعتكف النبي ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لأشغاله، وتفريغاً لباله، وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه. وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم حتى يتم أنسه بالله. ومعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له، والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال، وكان بعضهم لا يزال منفرداً في بيته خالياً بربه فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو القائل: أنا جليس من ذكرني ". اهـ.

٦- الاعتكاف سبب لاكتساب الأخلاق الحسنة:

ففي الاعتكاف من الممكن أن يتعلم الإنسان الكثير من الأخلاق الحسنة التي من الصعب تعلمها خارجه. ومن هذه الأخلاق: خلق الزهد في الدنيا، والرضا عن الله، والصبر، والمجاهدة، تتعلم هذه الأخلاق وغيرها من خلال مكثك في المسجد.

٧- الاعتكاف يعلم الإنسان الاستغلال الأمثل للوقت مع التعود على النظام:

فالواحد منا في الاعتكاف يسير وفق نظام معين موضوع في المسجد خاص بـ (النوم- الأكل- الحديث... إلخ) يجب الالتزام به؛ مما يساعده على اكتساب النظام والمحافظة على وقته لأبعد الحدود. فخذ العزم الأكيد والنيّة على أن يكون الاعتكاف بداية طريق للحصول على البراءتين.

٨- الاعتكاف سبب لحفظ الصيام مما يفسده:

ولم لا؟ فالمعتكف بوجوده في أظھر بقاع الأرض: المساجد يأخذ هذه النية بأن يعمل جاهداً على الحفاظ على صيامه مما يفسده.

٩- الاعتكاف للتدريب والمداومة على قيام الليل:

فالاكتكاف فرصة عظيمة لحب قيام الليل والمداومة عليه من خلال صلاة التراويح كل ليلة، إضافة إلى صلاة التهجد، ولو قمت الليل وخرجت من شهر رمضان محباً لقيام الليل، لكفى به فضل ويساعدك على هذا الاعتكاف.

وهناك نيات أخرى من الممكن استحضارها عند الاعتكاف ذكرها الشيخ أبو حامد الغزالي-رحمه الله- منها: "الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر والفكر في الآخرة وكيفية الاستعداد لها، وأن يعتقد أنه بيت الله ﷻ وأن داخله زائر الله تعالى فينوي ذلك، قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ قَعَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَدْ زَارَ اللَّهَ -تعالى-**، **وَحَقَّ عَلَى الْمَزُورِ إِكْرَامُ زَائِرِهِ**". (رواه الطبراني في الكبير وأحد أسانيد رجاله رجال الصحيح) والتجرد للذكر وإسماعه واستماعه، وأن يقصد إفادة علم وتبنيه من يسيء الصلاة، ونهي عن منكر وأمر بمعروف؛ حتى ينتشر بسببه خيرات كثيرة؛ ويكون شريكاً فيها، وأن يترك الذنوب حياء من الله ﷻ بأن يحسن نيته في نفسه في قوله وعمله، حتى يستحي منه أن يراه يقارف ذنباً، وقس على هذا سائر الأعمال، ثم قال: فباجتماع هذه النيات تزكى الأعمال وتلتحق بأعمال المقربين، كما أنه بنقصها تلتحق بأعمال الشياطين، كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل، والتفكُّه بأعراض الناس، ومجالسة إخوان اللهو واللعب، وملاحظة من يجتاز به من النسوان والصبيان، ومناظرة من ينازعه من الأقران على سبيل المباهاة والمرآة باقتناص قلوب المستمعين لكلامه وما يجري مجراه ". اهـ.

١٠- الاعتكاف سبب لرفع درجة الصلاة وقبولها:

هذه تكاد تكون غائبة عن السواد الأعظم من الذين يَمُنُّ الله عليهم بالاعتكاف، رغم أن المعتكف من الممكن أن يستحضر هذه النية، فقد قال ﷺ: " **وصلاة على إثر صلاة^(١)، لا لغو بينهما^(٢)، كتاب^(٣) في عليين^(٤) "**. (صحيح الجامع: ٣٨٣٧)

١١- الاعتكاف سبب لمحو الخطايا، ورفع الدرجات، ونية الرباط:

مع بقاء المعتكف في المسجد طوال الاعتكاف من الممكن أن يزيد أجره باستحضار هذه النيات، نعم بفضل الله من الممكن استحضار تلك النيات، وقد جمعها حديث النبي ﷺ حيث قال: " **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط "**. (رواه مسلم)

وقد قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

قيل في معنى هذه الآية: أي انتظروا الصلاة بعد الصلاة. (هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما) وقيل: اصبروا على أداء الفرائض، واجتتاب المعاصي.

وقيل في " تفسير الجلالين": " اصبروا على الطاعات، والمصائب، وعن المعاصي ".

١٢- الاعتكاف يعمل على تهذيب النفس ومحاسبتها:

إن الاعتكاف وسيلة من وسائل التربية النبوية التي أرشدنا إليها المصطفى ﷺ حيث إنه عنصر تهذيب ظاهر ويظهر ذلك في الآتي:

أ- ففي الاعتكاف خروج من دائرة الحياة اليومية وتأثيرها الكبير على النفس وانشغالها ودورانها في حركة لا تتوقف من أجل تحصيل مصالح الدنيا ومنافع العيش، مما يجعلها تغفل عن المحاسبة والمراجعة والتعديل والإصلاح، لذا كان في الاعتكاف فرصة ذهبية لأن يراجع كل مسلم حياته فيرى نقاط الإجابة ونقاط التقصير والإهمال فيزيد من الأول وينقص من الآخر ما وسعه الجهد والطاقة.

ب- في الاعتكاف عزلة محمودة تتيح للإنسان أن يخلو بنفسه وأن يحادثها عن أمانيه وأحلامه الماضية التي لم تتحقق كما يخبرها عن آماله في المستقبل، ويدرس ذلك بتأن وتؤدة، ويختار ما يستطيع أن يحققه، فيستدرك ما قد يكون فاتته، ويعزم على ألا يفوته في المستقبل أن يرى آماله قد حققت في أرض الواقع.

١- وصلاة على إثر صلاة: أي عقيبتها.

٢- لا لغو بينهما: أي بكلام الدنيا.

٣- كتاب: أي عمل مكتوب.

٤- في عليين: فيه إشارة إلى رفع درجاتها وقبولها. قال عليّ القاري-رحمه الله- كما في "عون المعبود في شرح سنن أبي داود": " وهو علم لديوان الخير الذي ذُون فيه أعمال الأبرار ". قال تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْفُوعٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ (المطففين: ١٨-٢١) أي: مداومة الصلاة من غير تخلل ما ينافيها لا شيء من الأعمال أعلى منها فكنى عن ذلك بعليين.

ج- وفي الاعتكاف انشغال بما هو أهم وأجدي وأنفع للإنسان: من قراءة القرآن وذكر الله وصلاة وقراءة عن أعلام الصحابة والسلف الصالح، وفي ذلك تعويد له لأن يكون ذلك عادة حياته وفي مختلف مراحلها، فيترك التوافه والصغائر والأمور غير ذي الجدوى أو ذات الجدوى القليلة، التي بتركها لا يكون هناك تأثير ملحوظ على مسيرة الإنسان في هذه الحياة.

د- والأهم مما سبق؛ أن المعتكف يعتكف على طاعة الله ويقيم عليها مدة اعتكافه، فهو يعتكف في أحب الأماكن إليه سبحانه (المساجد)، ويقيم فيها على الطاعة والعبادة والابتهاال والخضوع والخشوع، فلا يكون همه إلا الله ولا مقصوده إلا إياه سبحانه، ولا مراده سواه عز وجل، وبحيث يخرج من الاعتكاف وقد اعتكف قلبه على طاعة الله فحسب، لا ينظر ولا يقصد ولا يبتغي أحدًا سواه، فيكون منيبًا إليه سبحانه ".
(انظر موسوعة كنوز رياض الصالحين: ١٥/٣٤٧)

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في كتابه " الفوائد ص: ١٩٦: " الإجابة هي عكوف القلب على الله ﷻ، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة كما قال إمام الحنفاء لقومه ﴿إِنَّ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٢)، فافتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف على الرب الجليل.

والتماثيل جمع تماثل، وهو الصورة الممثلة، فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به، والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عباد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإرادتهم على تماثيلهم.

فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته، بحيث يكون عاكفًا عليها فهو نظير عكوفه على الأصنام، ولهذا سماه النبي ﷺ عبدًا لها، ودعا عليه بالتعس والنكس، كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ** ". (عظيم الأجر في اغتنام العشر للدكتور أحمد عرفة ص: ١٢٠)

فحقيقة الاعتكاف والمقصد منه: لَمْ شَعَثَ الْقَلْبَ بِالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وذلك بالانقطاع التام إلى العبادة، وعملاً على حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس والشهوات، والنقل من المباح من الأمور الدنيوية، والتخلُّص من خصال الترف، والحماية من آثار فضول الصحبة، فإن الصحبة قد تزيد على حد الاعتدال، فيصير شأنها شأن التخمّة بالطعام، وأيضاً حماية القلب من جرائر فضول الكلام... وغير ذلك من الأمور التي تفسد القلب وتمرضه، بل ربما تقضي عليه، فالاعتكاف مشفى هذه الأمراض، يخرج الإنسان من معتكفه معافى سليم القلب، وذلك إذا علم معنى الاعتكاف، وقام على تحقيق هذا المعنى.

وقفة: الاعتكاف المطلوب اليوم ليس الاعتكاف الذي يجعل من المساجد مهاجع للنائمين، ومجالس للمتزاويرين، وموائد للأكل وحلقات للضحك، ومرتعاً لفضول الكلام، فهذا اعتكاف لا يزيد صاحبه إلا قسوة في القلب وبعداً عن الله، إما الاعتكاف المنشود فهو الذي تسيل به دموع الخاشعين وترق به قلوب المشفقين وترفع فيه أكف المتضرعين، إنه الاعتكاف الذي لا يصرف منه لحظة في غير طاعة، ليكون بذلك علاجاً فعالاً لثلاثة أمراض تعتبر من أهم علامات موت القلب، وهي التي أشار إليها ذو النون -رحمه الله- في قوله: ثلاثة من علامات موت القلب: الأُنس مع الخلق، والوحشة في الخلوة مع الله، وافتناد حلاوة الذكر".

٣٧- يا باغي الخير: احرص على اغتنام ليلة القدر، فهي ليلة خير من ألف شهر:

ليلة القدر من المنح الربانية على الأمة المحمدية، حيث جعل الله العمل في هذه الليلة خيراً من ألف شهر، وهي الليلة التي أنزل فيها القرآن، وهو حدث عظيم لم تشهد الأرض ولا السماء مثله في عظمته، فهي ليلة ذات قدر عند الله تعالى.

قال الزهري-رحمه الله-: سميت ليلة القدر لعظمتها وقدرها وشرفها، من قولهم لفلان قدر: أي شرف ومنزلة، وهذه الليلة من حرم خيرها فهو المحروم.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه النسائي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّجِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ "

(صحيح الجامع: ٥٥) (صحيح الترغيب والترهيب: ٩٩٩)

وفي رواية عن ابن ماجه من حديث أنس ؓ قال: " دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكَمُ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ "

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠٠)

فالمحروم هو الممنوع: الذي منع خيرها بأن لا يوفق لإحيائها والعبادة فيها، فهذا الذي منع الخير كله، وفاته الثواب الكامل أو الغفران الشامل الذي يفوز به القائم على إحيائها (أفاده المباركفوري - رحمه الله-)

فيا من ضيع عمره في لا شيء، استدرك ما فاتك في ليلة القدر، فإنها ليلة تعدل العمر كله (ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر إلا قليلاً) فبين يديك الجواهر والدرر، فلا تضيع عمرك في الطين والمدر.

وسماها الله تعالى بالليلة المباركة، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ** ﴾ (الدخان: ٣)

وهذه الليلة اختصها الله تعالى بإنزال القرآن فيها، وجعل العمل فيها خيراً من العمل في ألف شهر.
قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ (القدر: ١-٥)

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في "تفسيره: ٢/١٢٥٩": قال بعضهم: معنى ذلك أن العمل في ليلة القدر بما يرضي الله، خير من العمل في غيرها ألف شهر. وقال مجاهد: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر. وقال قتادة: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وسرد ابن جرير الطبري أقوال أخرى، ثم قال: وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. اهـ.

• واختص الله تعالى هذه الليلة بأن من قامها لله إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه. لذا كان النبي ﷺ يتحرى ليلة القدر ويأمر أصحابه بتحريها، وكان ﷺ يوقظ أهله ليالي العشر رجاء أن يدركوها، وحث على قيامها بأبلغ العبارات، وأعظم الترغيب والتشويق.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "

مع أنه ﷺ قال في حديث آخر: " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "

(أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ)

وقد يُقال: إن أحد الحديثين يغني عن الآخر، فليلة القدر ليلة من ليالي رمضان، ومَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، فلماذا خصت ليلة القدر بهذا التخصيص؟ فذكرت القدر بمفردها مع كونها من ليالي رمضان؟ فهذا يدل على فضلها وعظيم قدرها.

يقول الإمام النووي -رحمه الله-: "قيام رمضان من غير موافقه ليلة القدر ومعرفتها سبب لغفران الذنوب، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سببٌ للغفران وإن لم يقم غيرها". اهـ

وهذه ليست دعوته للتواني وترك القيام في رمضان، والدعوة لقيام ليلة القدر فقط، لا بل هذا لبيان عظيم فضلها وعلو مكانتها. الله أعلم

وقد كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها. التماسًا لهذه الليلة المباركة. تقول عائشة -رضي الله عنها-: " كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره ". (رواه مسلم)

وقالت أيضا -رضي الله عنها-: " كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره^(١)، وأحيا ليله، وأيقظ أهله ". (أخرجه البخاري ومسلم)

وقالت أيضا -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: " تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ". (رواه البخاري).

١- وشدَّ المئزر: كما مر بنا هو كناية عن اعتزال النساء، وقيل: بل كناية عن الجد في العبادة، ويُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ الْأَمْرَانِ مَعًا، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِر.

وكان ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان التماساً لهذه الليلة المباركة.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: " كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده ".

وعند البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً (١) ".

ومع هذا الفضل العظيم لليلة القدر والأجر الكبير لمن أحيها، نجد أن بعضاً من المسلمين يغفلون عن إحياء هذه الليلة؛ لانشغالهم بمطالب دنيوية من شراء ملابس للعيد، أو عمل الكعك والبسكويت، أو كثرة الزيارات... أو غير ذلك من الأعمال الدنيوية، والتي حُرِّم صاحبها بسببها من إحياء ليلة القدر المباركة وضاع معها أعظم هدية من رب البرية، والنبي ﷺ أخبر أن من حُرِّم خير هذه الليلة فهو المحروم.

كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " أَتَأْكُم شهرَ رَمَضانَ، شَهْرَ مُبارِكٍ، فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوابُ الجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوابُ الجَحِيمِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ وَفِيهِ لَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ " (صحيح الجامع: ٥٥)

إنها ليلة القدر.. يُفتح فيها الباب.. ويُقرب فيها الأحباب.. ويُسمع الخطاب.. ويُردُّ الجواب.

ليلة زاهية عنكم بأفعالكم.. وقادمة عليكم غداً بأعمالكم.

فيا ليت شعري.. ماذا أودعتموها؟ وبأي الأعمال ودعتموها؟

أتراها ترحل حامدةً لصنيعكم؟ أم دامةً تضييعكم؟

هذا أوان السباق، فأين المسابقون؟ هذا أوان القيام، فأين القائمون؟

يا رجال الليل جدوا ربَّ صوتٍ لا يُردُّ

لا يقوم الليل إلا من له عزمٌ وجدُّ

أليس من عجبٍ أنَّ النَّاسَ أَغْفَلُ ما يكونون في زمانِ الجدِّ والاجتهاد؟!!

أليس من عجبٍ أنَّ الكثيرين لا يحلو لهم التسوق والشراء إلا في هذه الأزمنة الغالية النفيسة؟!!

أليس من عجبٍ أنَّ الكثيرين يكونون أكثرَ ولعاً بمشاهدة القنوات في هذه الأيام العظيمة والليالي الشريفة؟!!

أين نحنُ من قومٍ كانوا أنضاءً عبادةً وأصحابَ سهرٍ؟!!

غداً تُوقى النفوسُ ما كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ ما زَرَعُوا

إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لأنفسهم وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ ما صَنَعُوا

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "... يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفّيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه..". (رواه مسلم من حديث أبي ذر الغفاري)

فالبدار... البدار، فإنما هي الأنفاس لو حُبست عنا انقطعت أعمالنا التي نتقرب بها إلى الله عز وجل.

٣٨- يا باغي الخير: عليك أن تكثر من سؤال الله أن يعفو عنك في ليلة العفو (ليلة القدر):

قال ابن رجب-رحمه الله- كما في "لطائف المعارف: ٢/ ٣٣٨": وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: "قلت للنبي ﷺ: رأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولِي: اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني (١)".

والعفوُّ: من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، فالرحمة من صفات الذات والغضب من صفات الفعل، فكان النبي ﷺ يقول: "أعوذ برضائك من سخطك، وعفوك من عقوبتك". (رواه مسلم وأحمد).

قال يحيى بن معاذ-رحمه الله-: "لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يبتل بالذنوب أكرم الناس عليه". يشير إلى أنه ابتلى كثيراً من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب؛ ليعاملهم بالعفو فإنه سبحانه يحب العفو". وصدق النبي ﷺ حيث قال كما عند الترمذي في فضل رمضان: "ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة".

سبحانك من إله عفو كريم!

فاللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعفُ عنا

قال ابن رجب-رحمه الله- كما في "لطائف المعارف: ٢/ ٣٣٧": قال سفيان الثوري: "الدعاء في تلك الليلة أحب إليّ من الصلاة". اهـ.

ومراده: أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لم يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان حسناً، وقد كان النبي ﷺ يتهجّد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلّة، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوّد، فجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكّر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها... والله أعلم.

لكن لماذا سؤال العفو حتى بعد اجتهاد أيام العشر؟!

قال ابن رجب الحنبلي-رحمه الله-: "إنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر، ولذا كان يحيى بن معاذ يقول: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو". (لطائف المعارف ص: ٢٢٨)

١- وفي الحديث إشارة إلى أن شدة حياء العبد من ربه توجب عليه سؤال العفو لا الرضا، إذ الرضا لا يكون إلا للمتطهرين من الذنوب وأما من تلطخ بالمعاصي فلا يليق به إلا سؤال العفو.

وكان أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري-رحمه الله- كثيرًا ما يقول في مجلسه وفي غير مجلسه، وفي رمضان وفي غير رمضان: عفوك يا عفُو عفوك، في المحيا عفوك، وفي الممات عفوك، وفي القبور عفوك، وعند النشور عفوك، وعند تطاير الصحف عفوك، وعند ممر الصراط عفوك، وعند الميزان عفوك، وفي جميع الأحوال عفوك يا عفُو عفوك".

وكان يحيى بن معاذ-رحمه الله- يقول في مناجاته: إلهي ما أكرمك.. إن كانت الطاعات فأنت اليوم تبذلها وغداً تقبلها، وإن كانت الذنوب فأنت اليوم تسترها وغداً تغفرها، فنحن من الطاعات بين عطيتك وقبولك، ومن الذنوب بين سترك ومغفرتك".

وكان-رحمه الله- يقول أيضًا: كيف أمتنع بالذنوب من الدعاء، ولا أراك تمتنع بالذنوب من العطاء؟! ويقول-رحمه الله-أيضًا: "إن إبليس لك عدو وهو لنا عدو، ولا تغيظه بشيء هو أنكى له من عفوك عنا، فاعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين".

لا شيء أعظم من ذنبي سوى طمعي
في حُسن عفوك عن جُرمي وعن زللي
إن كنتُ أسرفتُ حينًا فاقبل توبتي كرمًا
وابدُل بذنبي ثواب الخائف الوجل

٣٩- يا باغي الخير: اجتهد في رمضان بقدر ما تستطيع؛ حتى تحقق مقصود الصيام:

ولعل قائل يقول: "وما هو مقصود الصيام؟

والجواب: أن مقصود الصيام يظهر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)

يقول ابن القيم-رحمه الله-: "وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانًا بالأمر وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنهي وخوفًا من وعيده، كما قال طلق بن حبيب-رحمه الله-: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: ما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله".

(الزهد لابن المبارك: ٤٧١/١) (رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ١٦٤/٦)

والتقوى لها تعريفات كثيرة، وكلها تدور حول معنى واحد وهو: أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله تعالى وعذابه، وذلك بامتنال المأمور، واجتناب المحذور.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦)

واللباس: ما يستر به العورات، والريش والرياش: ما يتجمل به، فالأول من الضروريات، والثاني من الزيادات التكميليات. فبعد أن مَنَّ اللهُ ﷻ على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، دلهم على أفضل لباس وهو يوارى عورات الظاهر والباطن ويتجمل به، ألا وهو لباس التقوى.

قال القرطبي-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ بين أن التقوى خير لباس، كما قيل:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
وخير لباس المرء طاعة ربه
تقلب عرياناً وإن كان كاسياً
ولا خير فيمن كان لله عاصياً^(١)

وكما أن التقوى أجمل لباس يتزين به العبد فإنها أفضل زاد يتزود به العبد ليوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧).

والله -عز وجل- جعل التقوى هي الميزان الذي يوزن به الناس، وبه يتفاضلون:

فالناس يتفاضلون بالتقوى، لا بميزان الحسب والنسب والمال والشهرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) وهذا الميزان كذلك هو ميزان النبي ﷺ الذي يزن به الناس.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: " أتقاهم لله ".

ولكأنه وشرف التقوى أمر الله -عز وجل- المسلمين بالتعاون عليها:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

نقل القرطبي-رحمه الله- عن الماوردي أنه قال: " ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى لله، لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته ". (الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٤٤/٣)

ولشرف التقوى وأهميتها نجد أن الله يوصي بها الأولين والآخرين:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء: ١٣١)

قال الغزالي-رحمه الله-: " أليس الله تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد، أوليس هو أنصح له وأرحم وأرف من كل أحد، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر، وأجل في العبودية، وأعظم في القدر، وأولى بالحال، وأنجح في المآل، من هذه الخصلة التي هي التقوى، لكان الله أمر بها عباده، فلما أوصى الله بهذه الخصلة الوحيدة، وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها، علمت أنها الغاية التي لا تتجاوز عنها، ولا مقصود دونها، وعلمت كذلك أنها الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، والكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات ". اهـ باختصار (منهاج العابدين ص: ٧٢)

٤٠- يا باغي الخير: لا تنس إخراج زكاة الفطر:

وزكاة الفطر واجبة على كل مسلم ودليل ذلك:

١- وعند البخاري ومسلم أيضًا من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة".

وقول ابن عمر-رضي الله عنهما-: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر". يكفي في الدلالة على وجوبها مع القدرة في وقتها.

وقال النووي-رحمه الله- في "المجموع: ٦/٢٢٦": "أجمع العلماء على وجوب صدقة الفطر".

وكذا نقل الإجماع ابن المنذر-رحمه الله- فقال: "أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن صدقة الفطر فرض". (الإجماع لابن المنذر: ص: ٤٩)

تنبيه: احرص على أن تكون الزكاة من الجيد الطيب؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، فلا يجوز إخراجها من شرِّ الأصناف أو مما اغتُصِبَ أو نُهب أو تُرِكَ لحقارته أو لفساده.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: "لا تقبل صلاة بغير ظهور، ولا صدقة من غلول".

وأخرج الإمام مسلم كذلك عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما تصدَّق أحدٌ بصدقةٍ من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم قُلُوهُ^(١) أو فصيله^(٢)".

الحكمة من مشروعية زكاة الفطر:

قال ابن قدامة-رحمه الله- صاحب "المغني": والحكمة من مشروعية زكاة الفطر: "الرفق بالفقراء بإغنائهم عن السؤال في يوم العيد، وإدخال السرور عليهم في يوم يُسرُّ المسلمون بقدم العيد عليهم، وتطهير مَنْ وجبت عليه بعد شهر الصوم من اللغو والرفث".

فقد أخرج أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللُّغْوِ^(٣) والرفث^(٤)، وطعمة للمساكين، مَنْ أدَّأها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، وَمَنْ أدَّأها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات". (حسنه الألباني في الإرواء: ٣/٣٢٢)

١- القُلُو: المُهْر.

٢- الفصيل: ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه.

٣- اللغو: ما لا يَغْفَدُ عليه القلب من القول.

٤- الرفث: الفحش من الكلام.

ومن حَكَمَ زكاة الفطر كذلك: إظهار شكر نعمة الله تعالى على العبد، بإتمام صيام شهر رمضان، وما يسر من قيامه. ومنها: إشاعة المحبة والمودة بين فئات المجتمع، فالغني يعطف على الفقير، ويسدُّ حاجته، ويغنيه عن السؤال.

مقدار زكاة الفطر:

ومقدار زكاة الفطر هو صاع من أي صنف، كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً^(١) من طعام^(٢)، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط^(٣)، أو صاعاً من زبيب".

تقدير الصاع^(٤):

والصاع المعتبر هو صاع أهل المدينة. لحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة". (السلسلة الصحيحة: ١٦٥)

وها هنا جدولٌ توضيحيٌّ للصاع من الأصناف المختلفة، وما يقاربه بالكيلو تقريباً:

م	الصنف	وزن الصاع بالكيلو تقريباً
١	صاع الأرز	٢,٣٠٠ كجم
٢	صاع اللوبيا	٢,٤٠٠ كجم
٣	صاع الفاصوليا	٢,٦٠٠ كجم
٤	صاع التمر	١,٧٥٠ كجم
٥	صاع العدس الأصفر	٢,١٠٠ كجم
٦	صاع العدس بجبة	٢,١٠٠ كجم
٧	صاع الفول	٢,٤٠٠ كجم
٨	صاع الزبيب	١,٦٤٠ كجم

وهذه الأوزان اجتهادية تقريبية، والأساس هو الكيل بالصاع، ومن أراد أن يحتاط ويخرج بزيادة راحة لنفسه ومصلحة للفقير فعليه بإخراج ثلاثة كيلو جرامات من أي نوع سوي الزبيب، ومن أراد أن يلتزم بما هو وارد في الجدول الموضح أعلاه فله ذلك. والله أعلم

١- والصاع المُعتبر: أربعة أمداد، والمد: ما يملأ كفي الرجل المعتدل الكفين.

٢- الطعام: بيته أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال في حديث أخرجه البخاري: كنا نخرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعاً من طعام، قال أبو سعيد: وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر".

٣- الأقط: هو اللبن المجفف، مثل الجبن.

٤- قال بعض العلماء: الصاع سدس كيلة مصرية، أي: قَدَحٌ وثَلثٌ مصري، وهو يساوي الأرز المصري بالجرامات ٢,١٥٧ كيلو جراماً تقريباً.

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: الصاع: خمسة أرطال وثَلثٌ - برطل العراق-.

قال ابن الأثير -رحمه الله-: وقيل: إن أصل المد مُقَدَّرٌ بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً، ومن لم يكن عنده مكيال ولا ميزان؛ فليخرج أربعة أمداد، ومن تطوَّع خيراً فهو خير له". والصاع النبوي يبلغ وزنه أربعمان وثمانية مثقالاً من البُرِّ الجيد، أي: ألفي جرام وأربعين (٢ كيلو و ٤٠ جرام) فإذا أراد أن يعرف الصاع النبوي عليه أن يزن ٢,٠٤٠ برّاً، ثم يضعها في إناء بقدرها فيعلمه، ثم يكيل له.

وقت خروج زكاة الفطر^(١):

يجب إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد:

- وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: "أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة".

- وأخرج الترمذي وأبو داود بسند صحيح عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: "إن رسول الله ﷺ كان يأمر بإخراج الزكاة قبل الغدو للصلاة يوم الفطر".

قال ابن عيينة-رحمه الله- في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** (سورة الأعلى: ١٤، ١٥) ومن لم يستطع إخراجها قبل الصلاة فعليه قضاؤها بعد الصلاة، لا على أنها زكاة ولكن على أنها صدقة من الصدقات.

حيث قال الجمهور: إن أخرها عن الصلاة أثم ولزمه إخراجها، وتكون قضاء، وبه قال مالك وأبو حنيفة والليث وأحمد. وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات".

وقالوا: إن زكاة الفطر لا تسقط إذا خرج وقتها؛ لأنها وجبت في ذمته لمستحقيها، فهي دين لهم لا يسقط إلا بالأداء لأنها حق للعبد، أما حق الله في التأخير عن وقتها فلا يكون إلا مع الاستغفار والندم. يقول ابن هبيرة-رحمه الله- في "اختلاف الأئمة العلماء": "واتفقوا على أنها لا تسقط عما وجبت عليه بتأخير أدائها وهي دين عليه حتى يؤديها".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "إن أخرها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت".

١- تنبيهان:

أ- إذا أخر الإنسان زكاة الفطر لعذر، كأن يعلم بالعيد أثناء سفره، أو لم يجد فقيرًا يؤتیه الصدقة، فإنه لا يأنم بذلك، وتكون في ذمته يجب عليه أداؤها متى تمكّن من الأداء. (الشرح الممتع: ١٧٥/٦)

ب- يجوز تعجيل زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين، لما أخرجه البخاري ومسلم عن نافع قال: "كان ابن عمر يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين".

وقد مر بنا في رواية ابن خزيمة من طريق عبد الوارث عن أيوب: قلت: متى كان ابن عمر يعطي الصاع؟ قال: إذا قعد العامل، قلت: متى كان يقعد العامل؟ قال: قيل الفطر بيوم أو يومين".

وجوز الشافعي-رحمه الله- تقديمها في جميع رمضان، وهذا بعيد. الراجح: هو إخراجها يوم الفطر قبل صلاة العيد (وهو وقت الفضيلة)، ويجوز تعجيلها بيوم أو يومين لفعل ابن عمر-رضي الله عنهما- (وهو وقت الإجزاء).

٤١- يا باغي الخير: لا تترك الصيام بعد رمضان:

صيام التطوع من نعم الله على عباده، حيث شرع لهم ما يتقربون به إليه بعد أداء الفرائض وأعطاهم عليها من الأجر الكبير، والفضل العظيم.

ومن فضائل صيام التطوع:

١- سبيل لحبة الله تعالى:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: قال الله - عز وجل -: " وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَنْ أَسْتَعَادَنِي لِأُعِيدَنَّهُ..".

٢- جبر النقص وسد الخلل الذي ربما يقع في الفرائض:

فقد أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إِنْ أَوْلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرَ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ ".

٣- تحصيل الأجر العظيم:

فمن صام يوماً واحداً نافلة فانه الله تعالى يباعد وجهه عن النار سبعين عاماً، وفي رواية: مائة عام، وفي رواية: خمسمائة عام.

فقد أخرج النسائي وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(١)، بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ حَرَّ جَهَنَّمَ عَنْ وَجْهِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ^(٢) ". (صحيح الجامع: ٦٣٢٩)

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ - وفي رواية - بَعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا "

- وفي رواية عند الإمام أحمد والترمذي: " مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رَزَحَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا " (صحيح الجامع: ٦٣٣٤)

قال النووي-رحمه الله- في شرحه على مسلم: ٢١١/١٠: " وفي الحديث: "فَضِيلَةُ الصِّيَامِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ لَا يَنْضَرُّ بِهِ، وَلَا يَفُوتُ بِهِ حَقًّا، وَلَا يَخْتَلُ بِهِ قِتَالُهُ، وَلَا غَيْرُهُ مِنْ مَهْمَاتِ غَزْوِهِ، وَمَعْنَاهُ: الْمَبَاعَدَةُ عَنِ النَّارِ، وَالْمَعَاوَةُ مِنْهَا، وَالْخَرِيفُ: السَّنَةُ، وَالْمُرَادُ بِهِ: سَبْعِينَ سَنَةً ". اهـ

١- في سبيل الله: قال القرطبي- رحمه الله-: أي في طاعة الله، فالمراد: من صام قاصداً وجه الله، وقيل إنه الجهاد في سبيل الله" (المفهم ٢١٧/٣) وقال المناوي- رحمه الله -: وقوله "في سبيل الله": أي لله ولوجهه، أو في الغزو، أو الحج.

٢- سبعين خريفاً: أي مسيرة سبعين عاماً.

وأخرج النسائي من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ** ". (صحيح الجامع: ٦٣٣٠)

- وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **من صام يومًا في سبيل الله، جعل الله بينه وبين النار خندقًا، كما بين السماء والأرض** ". (السلسلة الصحيحة: ٥٦٣) (صحيح الجامع: ٦٣٣٣) ومن المعلوم أن المسافة التي بين السماء والأرض خمسمائة عام كما أخبر الحبيب النبي ﷺ.

سبحان الملك!!! بصيام يوم واحد يباعد الله وجهك عن النار " **سبعين خريفًا** " وفي رواية: " **مائة عام** " وفي رواية: " **خمسمائة عام** " في حين أن رب العالمين يقول في كتابه الكريم: ﴿ **فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ (آل عمران: ١٨٥)

إنها منح وعطايا وهدايا ربانية للأمة المحمدية فيها...ها.. اغتتمها قبل أن تأتيك المنية.

ومن الصيام المسنون بعد رمضان^(١):

- ١ - صيام ستة أيام من شوال:
- ٢ - صيام ثلاثة أيام من كل شهر:
- ٣ - صوم يوم وإفطار يوم:
- ٤ - صيام شهر الله المحرم:
- ٥ - صيام يوم عاشوراء:
- ٦ - صيام شهر شعبان:
- ٧ - التسع الأول من شهر ذي الحجة:
- ٨ - صوم يوم عرفة:
- ٩ - صيام يوم السبت والأحد مخالفة للمشركين:
- ١٠ - صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع:
- ١١ - الصيام للشباب الأعزب الذي لا يقدر على مؤنة الزواج:

١- هناك رسالة للمؤلف بعنوان: " فضل صيام التطوع " ضمن سلسلة الكتاب الجامع للفضائل، وفيها الأدلة على هذه العناوين، فارجع إليها مشكورًا غير مأمور.

٤٢- يا باغي الخير: أكثر من الاستغفار في رمضان بعد فعل الطاعات: من صيام وقيام وقراءة

القرآن...

فالإنسان بعد أداء العبادات الجليلة والأعمال العظيمة من صيام، وقيام، وقراءة القرآن، يتهم نفسه بالتقصير والتفريط، ويستغفر الله من غفلته وتقصيره، وهذا هو شعار الصالحين.

قال أهل العلم: " من علامات قبول العمل عدم رؤيته، وأصل الخطايا الرضا عن النفس، فلا ينبغي أن يرضى الإنسان عن نفسه، ولا يركن إلى عمله، بل عليه أن ينظر إلى وجه القصور فيه، ويستغفر الله على نقصانه، ليكون هذا مظنة القبول.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٦٠)

فهذه الآية تصف حال المؤمنين الصادقين الذين يجتهدون في فعل الطاعات كالصلاة، والصدقة، والصيام، ومع ذلك ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾: أي خائفة ومشفقة من عدم القبول، لعلمهم بتقصيرهم في جنب الله، أو ألا يكونوا قد أوفوا العبادة حقها، لعلمهم ويقينهم ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: أي موقنون بأنهم سيقفون بين يدي الله تعالى للحساب، مما يدفعهم إلى هذا الخوف والوجل. وهذا يجمع بين الإحسان والخوف من عدم القبول. والنبى ﷺ يؤكد على هذه الحقيقة.

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: أهُمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: " لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾". (صحيح الترمذي: ٣١٧٥)

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في "مدارج السالكين: ١/١٧٥": " وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارًا عقيب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه ". اهـ

• وقد أمر الله تعالى بالاستغفار بعد أداء فريضة الحج. فقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ

الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٨، ١٩٩)

• والاستغفار بعد قيام الليل:

فقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَارِ﴾ (سورة آل عمران: ١٧)

قال الحسن البصري-رحمه الله:- "مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل".

• والاستغفار بعد الوضوء:

فقد أخرج النسائي في السنن الكبرى والطبراني في المعجم الأوسط والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رِيقٍ، ثُمَّ طَبِعَ بِطَابِعٍ ^(١) فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٢) ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٧٣)

• والاستغفار بعد أداء الصلوات المكتوبة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْتَصَرَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِأَوْزَاعِي: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

فلا يستطيع العبد أن يقوم بالعبادة على الوجه المطلوب، فشرع له الاستغفار إكمالاً للعبادة، ووفاءً بحق العبودية.

• والخلاصة: أن على الإنسان أن يستغفر ربه عقب فعل الطاعات، وعمل الخيرات.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة المزمل: ٢٠)

فهذا شأن من عرف ما ينبغي لله ويليق بجلاله من حقوق العبودية وشرائطها لا جهل أصحاب الدعاوي وشطحاتهم. (مدارج السالكين: ١/١٧٥)

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها، فقال تعالى: ﴿ إِذَا

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ^(١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ^(٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (سورة النصر)

وقد فهم عمر وابن عباس -رضي الله عنهم- أن هذه السورة دليل على قرب أجل رسول الله ﷺ، حيث أمره الله أن يستغفره عقب أداء ما كان عليه، فكأن هذه السورة أعلام بأنك قد أديت ما عليك، ولم يبق عليك شيء، فاجعل خاتمة حياتك الاستغفار.

أخي الحبيب... عليك أن تكثر من قولك: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

﴿: مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، يَقُولُهَا ثَلَاثًا؛ عُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا

مِنَ الرَّحْفِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٣)

فعليك أخي الحبيب أن تجتهد في رمضان بقدر ما تستطيع؛ فتصلي صلاة الخاشعين، وتصوم صيام الصالحين، وتقوم قيام العابدين الشاكرين، ثم بعد ذلك تدعو دعاء المضطرين وتستغفر رب العالمين.

١- ثُمَّ طَبِعَ بِطَابِعٍ: أي: خُتِمَتْ بِخَتْمٍ.
٢- فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: فَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ إِبْطَالٌ وَإِحْبَاطٌ.

٤٣- يا باغي الخير: استقم على طاعة الله ولا تنقطع عن العبادة بعد رمضان^(١)!

أحبتني في الله... غاية كل إنسان منا هي الفوز بالجنة والنجاة من النار، فكل نعيم دون الجنة هو سراب، وكل عذاب دون النار هو عافية، والفوز بالجنة والنجاة من النار لا يكون إلا بفعل المأمور واجتناب المحذور، ولا يُكتفى بذلك بل يستمر الإنسان على هذا إلى أن يلقى الله تعالى، فلا نجاة إلا لمن استقام على طاعة الله واجتناب ما نهى عنه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتَمُّونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

قال ابن كثير-رحمه الله- **في تفسير هذه الآية:** "فإن الكريم قد أجرى عاداته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فعياداً بالله من خلاف ذلك". اهـ

فعلى الإنسان أن يفعل الصالحات ويبتعد عن المنهيات ويقيم على هذه حتى الممات ويحذر الانتكاس. وللأسف تجد أن بعد رمضان من الناس ينقطع عن العبادة بمجرد ظهور هلال شوال، فإلى هؤلاء أقول: إذا كان رمضان قد انقضى فإن الأعمال الصالحة لا تنقضي، فلا تكن عبداً رمضانياً وكن عبداً ربانياً.

قال الشبلي-رحمه الله- **عندما سئل أيهما أفضل رجب أم شعبان؟ فقال:** "كن ربانياً ولا تكن شعبانياً". فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد انقضى، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، فعلى المرء أن يواظب على فعل الطاعات حتى بعد انقضاء رمضان، فإذا كان رمضان قد انقضى فإن الأعمال الصالحة لا تنقضي إلا بالموت.

فخلاصة الأمر أن العبد عليه أن يفعل الطاعات ويبتعد عن المنهيات ويستمر على هذا حتى الممات. يقول الحسن البصري-رحمه الله:- "عباد الله! إن الله سبحانه لم يجعل لأعمالكم أجلاً دون الموت، فعليكم بالمدائمة فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)

وإلى هذا المعنى أشار عيسى-عليه السلام- حيث ذكر وصية الله تعالى له فقال: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣١)

ويؤكد النبي ﷺ على هذه الحقيقة فيقول: **"إذا مات ابن آدم انقطع عمله^(٢)....."**

(أخرجه مسلم من حديث أبي هريرةؓ)

فكل هذا يدل دلالة بيينة على أن العمل لا ينقطع إلا بالموت، وهذا ما فهمه السلف الصالح رحمة الله عليهم، **فها هو عامر بن عبد الله-رحمه الله-** لما نزل به الموت وكان في النزح الأخير، فسمع المؤذن يؤذن لصلاة المغرب، فقال: احملوني إلى المسجد، فقيل له، إنك عليل، فقال: اسمع داعي الله ولا أجييب؟ احملوني إلى المسجد، فأخذوا بيده إلى المسجد، فصلى خلف الإمام ركعة ثم مات.

١- هناك رسالة للمؤلف بعنوان: "الاستقامة على الدين منهج الصالحين"، فارجع إليها مشكوراً غير مأمور.
٢- وتام الحديث: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له". - وفي رواية: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". (رواه مسلم من حديث أبي هريرةؓ)

- **وها هو أبو بكر بن أبي مریم-رحمه الله- يقول عنه يزيد بن عبد ربه:** " عدت أبا بكر بن أبي مریم وهو في النزح، فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بيده لا. - وكان صائماً- ثم جاء الليل فقال: أذن؟ أي للمغرب؟ فقلت: نعم. ففقرنا في فمه قطره ماء ثم مات.

فاستمرار العبد على الطاعة من معالم فلاحه، ومظاهر توفيقه، وعنوان على قبول العمل، لأن من علامات قبول العمل إتباعه بعمل صالح بعده.

وعباد الله الصالحون لا يتغيرون ولا يتحولون عن الطاعة والعبادة بل هم على ثبات عليها حتى الممات. قال تعالى: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بُدِيلًا** ﴾

(الأحزاب: ٢٣)

فيا صاحب العقل السليم والفترة المستقيمة؛ حافظ على أعمالك الصالحة، وإياك والانتكاس، واحذر أن تكون من أهل الغفلة الذين سيندمون على التفريط، كما قال تعالى: ﴿ **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَبِّ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّٰخِرِينَ** ﴾ (الزمر: ٥٦)

وقد سمي الله تعالى يوم القيامة بيوم الحسرة، لكثرة النادمين فيه بعد فوات الأوان. قال تعالى: ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (مریم: ٣٩)

فطوبى لمن استقام على الطاعة ولزم العبادة، وطرح الغفلة وراء ظهره، وندم على ما فرط وقصر، ولزم التوبة والاستغفار، وسأل العزيز الغفار أن يغفر ذنبه، وأن يقبل عمله، وأن يعينه على الطاعة والعبادة والاستمرار عليها حتى الممات.

فعليك أن تعبد الله في رمضان وفي شوال، وفي سائر شهور العام، فإن رب رمضان هو رب شوال، وهو رب سائر شهور العام.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١)

فقد كان النبي ﷺ لا ينقطع عن العبادة وأعمال البر في رمضان ولا في غيره.

فقد قالت عائشة-رضي الله عنها- **كما عند البخاري ومسلم: " ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة...".** الحديث

وانظر إلى قول عائشة-رضي الله عنها-: **ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره...".** أي ولا في غيره من الشهور، لتعلم أنه ﷺ ما كان ينقطع عن العبادة في وقت من الأوقات.

وثبت أيضًا في صحيح البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- **أنه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان...".** الحديث

وأجود: صيغة تفضيل، وهذا يدل على أن أصل الجود والإنفاق موجود في رمضان وفي غيره، إلا أنه يزيد في رمضان.

- ومما يدل على أن رسول الله ﷺ كان عمله ديمة (أي متواصلًا غير منقطع) في رمضان ولا في غيره. ما أخرجه البخاري ومسلم عن علقمة بن قيس النخعي أنه سأل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - هل كان رسول الله ﷺ يختص من الأيام شيئًا؟ قالت: لا، كان عمله ديمة^(١)....".

وقالت أيضًا عائشة - رضي الله عنها - كما عند البخاري ومسلم: "كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبُه".

وسألت عائشة - رضي الله عنها - أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ؟ قالت: الدائم....". (أخرجه البخاري)

- وجاء في صحيح مسلم وابن حبان واللفظ له عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته^(٢)، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، قالت: وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح ولا صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان". (صحيح ابن حبان: ٢٦٤٦)

قال النووي - رحمه الله - في "شرح على مسلم: ٢٣/٦": "فيه الحث على القصد في العبادة، وأنه ينبغي للإنسان ألا يحتمل من العبادة إلا ما يطيق الدوام عليه، ثم يحافظ عليه". اهـ

ولذلك حذر النبي ﷺ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن يترك قيام الليل الذي اعتاد عليه فقال له: "يا عبد الله! لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل". (رواه البخاري ومسلم)

فالله تعالى يحب العمل الدائم حتى لو كان قليلًا، فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها وإن قلَّ".

وقد عقد الإمام مسلم في صحيحه بابًا قال فيه: "باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره".

ثم ساق حديثًا عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أن النبي ﷺ كان يحتجر حصيرًا بالليل فيصلي عليه، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ فيصنون بصلاته حتى كثروا، فأقبل فقال: يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يملأ حتى تملأوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ".

قال النووي - رحمه الله - في "شرح لهذا الحديث: ٧١/٦": "فيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة". اهـ

١- الديمة: في الأصل: المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق، ثم استعمل في غيره؛ فشبهت عائشة - رضي الله عنها - عمله في دوامه مع الاقتصاد بديممة المطر.
٢- أثبته: أي جعله ثابتًا غير متروك.

- باع قوم من السلف جارية لهم: فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له، ويستعدون بالأطعمة وغيرها، فسألتهم، فقالوا: نتهاياً لصيام رمضان، فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان، لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، ردوني عليهم.

- ويروى أن الحسن بن صالح -رحمه الله- وهو من الزهاد العباد - كانت له جارية - فاشتراها منه بعضهم، فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد قامت فنادتهم: يا أهل الدار! الصلاة، الصلاة - تقصد قيام الليل - فقاموا، وقالوا: هل طلع الفجر؟ فقالت لهم: أنتم لا تصلون إلا المكتوبة؟! فلما أصبحت رجعت إلى الحسن بن صالح، وقالت له: لقد بعنتي إلى قوم سوء لا يصلون إلا المكتوبة فردني، فردّها.

• ولا تنس أخي الحبيب أن تدعو الله تعالى أن يثبتك على الإيمان والعمل الصالح.

كما كان أسلافنا يفعلون: ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨)

وتكثر أيضاً من هذا الدعاء: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . كما كان النبي ﷺ يفعل.

فقد أخرج الترمذي من حديث شهر بن حوشب قال: قُلْتُ لِأُمِّ سَلْمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! مَا كَانَ أَكْثَرَ دَعَايَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرَ دَعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَكْثَرَ دَعَائِكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلْمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاعَ. فَتَلَا مَعَاذَ^(١): رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا . (صحيح الترمذي: ٣٥٢٢)

- وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أن رسول الله كان يُكثِرُ أن يقول: يا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُكثِرُ أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخاف؟ قال: " نعم، وما يؤمّني أي عائشة وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن؟

- وفي رواية: " إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، فإذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه "

- وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنه سمع النبي ﷺ يقول: " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يُصرّفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ ."

- وأخرج النسائي في السنن الكبرى وابن ماجه عن النّوّاس بن سمعان الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، إذا شاء أن يُقيمه أقامه، وإذا شاء أن يُزيغه أزاغه، ويقول: يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، قال: والميزان بيد الرحمن جل وعزّ يرفعه ويخفضه " . (صحيح سنن ابن ماجه: ١٦٥)

١- هو معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان التميمي.

فإذا كان هذا هو أكثر دعاء النبي ﷺ وهو الذي عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو حبيب الحق وسيد الخلق، وخير من تنفس الهواء، وخير من وطأ الحصى، وهو سيد الأولين والآخرين، فماذا عنا نحن أصحاب الذنوب والمعاصي!!!!

ولا تنس أيضاً أن تدعو بهذا الدعاء: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ**."

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ...".** الحديث (السلسلة الصحيحة: ٣٢٢٨)

- وفي رواية: **"إِذَا كَثُرَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَأَكْثَرُوا هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ: أَيِ الدَّوَامِ عَلَى الدِّينِ وَلِزُومِ الإِسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ.**

وكان بعض السلف يدعو الله تعالى أن يثبتته على الإيمان وأن يميته على التوحيد، فكان يذكر دعاء إبراهيم ﷺ عندما قال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥) فقال: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ﷺ.

وإياك إياك أخي الحبيب أن تعود إلى رق الأوزار بعد إذ أنقذك منها العزيز الغفار.

ويا من أعتقه مولاه من النار في رمضان... إياك... إياك أن تعود إليها بعد أن صرت حرًا من رق الأوزار.

فمن الناس من ينقطع عن العبادة بعد رمضان، ويعود على ما كان عليه من معاصي وذنوب، فإلى هؤلاء أيضاً نقول: يا من منع نفسه في شهر رمضان عن الحرام، فليمنعها فيما بعده من الشهور والأعوام، فإن إله الشهور واحد، وهو على الزمان مطلع ومشاهد.

فيا من ذقت طعم الإيمان، ولذة القيام، وحلاوة القرآن، إياك بعد ذلك من الانتكاس، والوقوع في العصيان. فما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة!

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من النقصان بعد الزيادة، فيقول: **"اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور"**. (رواه الخمسة)

ونجد هذا أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (سورة المدثر: ٣٧)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره: "فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، ويدنيه من رضاه، وبزلفه من دار كرامته، أو يتأخر عما خلق له و عما يحبه الله ويرضاه، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلى نار جهنم."

والآية الكريمة لم تذكر واقفاً، بل ذكرت: تقدماً وتأخراً، فكل من لم يكن في تقدم، فليس له إلا الحالة الثانية: فهو في تأخر، فليس هناك وسط بينهما.

ورب العالمين حذرنا في كتابه الكريم أن نكون كحال هذه المرأة التي جاء ذكرها في سورة النحل؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثٍ﴾ (النحل: ٩٢)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "كانت امرأة خرقاء بمكة كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه، وأفسدت ما غزلته بعد إحكام وربط". اهـ.

وهذا حال البعض منا تراه مقيماً على الطاعات بعيداً عن المنهيات، ولكن بعد فترة من الزمان تتبدل الأحوال ويترك الطاعات ويقع في المنهيات التي كان ينهي عنها في يوم من الأيام، وهذا ما نشاهده رأي العين بعد رمضان فمع قدوم هذا الشهر المبارك يقبل الناس على الطاعة ويبتعدون عن المعصية وما أن ينتهي الشهر إلا وتخلو المساجد من المصلين، ويهجر كتاب رب العالمين، بعد أن كان يُقرأ ليل نهار، وتتيسر الشفتان عن ذكر الرحمن بعد أن كانت رطبة بذكره تعالى، وقطعت الأرحام، وشُرب الدخان، ورجع الإنسان كما كان قبل شهر رمضان، وهذا كله يتنافى مع الاستقامة التي أمرنا بها. وما علم هذا المسكين أنه ربما يأتيه الموت وهو على هذه الحالة، فيختم له بسوء الخاتمة-عياداً بالله.

يقول أبو محمد عبد الحق الأشبيلي في "كتابه العاقبة": "اعلم أن سوء الخاتمة - أعادنا الله منها- لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، أو إقدام على العظائم، وربما غلب عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلمه الشيطان^(١) عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، أو يكون ممن كان مستقيماً ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سننه، ويخرج عن طريق الهداية ويسلك طريق الغواية، فيكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة وشؤم عاقبته".

فيا مَنْ وَفَى في رمضان على أحسن حال... لا تتغير بعده في شوال، وفي سائر شهور العام. وربط على حصون نفسك بالمراقبة، والمحاسبة، والمجاهدة، والمعاتبة، حتى لا تضع أعمالك هباءً منثوراً.

أحبي في الله... صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء لا يطولن عليكم الأمل باستبطاء الأجل فإن معظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب. فمن صام عن شهواته في الدنيا أدركها غداً في الجنة، ومن صام عما سوى الله، فعيده يوم لقائه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ (العنكبوت: ٥)

١- يصطلمه الشيطان: أي يستأصله عن دينه ويقطعه عنه.

وختاماً... أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا أن يجعلنا ممَّن يقتدون بسنة النبي ﷺ، في جميع الأقوال والأفعال، في السر والعلانية، وأن يتقبل مِنَّا الدعاء، والصيام، والصلاة، وصالح الأعمال، وأن يتولانا بعفوه، وأن يرحمنا برحمته، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يجعل مثنوانا جنته، وأن يتقبلنا في عباده الصالحين، وأن يبلغنا رمضان أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة ونحن في عافية وستر، وأن يجعلنا في رمضان من عتقائه من النار، وأن يجعل مثنوانا الجنة، وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسرَّ جمعه في هذه الرسالة.
وأسأل الله - تعالى - أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها مِنِّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمِنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان تَمَّ خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخلا جَلَّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك